قضايا فوق العادة

محمود عبد المنعم

(2) الطاقة القاتلة

قضايا فوق العادة – محمود عبد المنعم

العدد (2): الطاقة القاتلة

الطبعة الأولى: يناير 2016

تصميم الغلاف: محمد مجدي

تدقيق لغوي: رباب الشهاوي

تنسيق داخلي: إسلام علي

المدير العام: رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٩٨/٢٠١٦

سلسلة (قضايا فوق العادة) عربية مائة في المائة، ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing





قضايا فوق العادة

محمود عبد المنعم

2

الطاقة القاتلة



المقدم مراد عبد الحميد .. ضابط مباحث بقسم قضايا فوق العادة بإدارة المباحث العامة بمديرية الأمن .. متخصص في القضايا الغامضة الشديدة التعقيد، والتي تنبع من الحوادث الخارقة للطبيعة والبعيدة عن أي منطق .. مغامراته تدور بين الأرواح والأشباح وأصحاب القوى الخفية والأساطير الرهيبة وأهوال العالم السفلى والسحر الأسود .. يسأل .. يحاور .. يبحث .. يغوص في مواقف مثيرة وأحداث مذهلة مخيفة ومرعبة .. معتمدًا على شجاعته النادرة و ذكائه الحاد وثقافته التي لا حدود لها وقلبه الذي لا يعرف الخوف أبدًا ..

(١) الجريمة:

تعدت الساعة منتصف الليل بقليل عندما امتزجت رياح باردة مع الأتربة ومخلفات القمامة المتطايرة، لتمر في جميع الأنحاء بصورة عاصفة هوجاء ارتجفت لها شوارع الإسكندرية التي خلت من السيارات والمارة، ليعم السكون كافة الأرجاء عدا حفيف الأشجار..

وبأحد شوارع حي راقٍ شهير، كان يقبع معرض لبيع السيارات وقد بدا غريبًا أنه لم يغلق أبوابه بعد رغم تأخر الوقت، وبالتأكيد لو أن احد المارة مر بجانبه لكان قد سمع صوتًا غاضبًا يرتفع من الداخل قائلاً في ثورة:ـ لا.. إنني أرفض هذه الصفقة.

كان صاحب الصوت رجل في العقد الرابع، ممتلئ الجسم قليلاً يحمل الكثير من الوجاهة والأناقة وهو يقف في منتصف حجرة مكتب واسعة فخمة لأقصى درجة، موجهًا كلامه إلى رجل يجلس خلف مكتب أنيق في هدوء لا يتناسب مع ثورة الرجل الذى أمامه، إلا أنه قال في برود:ـ لماذا يا أستاذ توفيق؟

تحرك توفيق ووقف أمام مكتب الرجل ومال ناحيته قائلاً وهو ينظر إلى عيني الرجل:ـ لأنها لا تبدو لي صفقة سيارات عادية، يا أستاذ رمزي.

نظر رمزي إلى عيني توفيق مباشرة قائلاً في برود وعمق:ـ ماذا تقصد يا توفيق؟

شعر توفيق بعيني رمزى تتسعان أكثر وأكثر وكأنه يغوص فيهما، وما هي الا لحظات حتي شعر بضباب كثيف بدأ يملأ

عقله، فانتفض في قوة وهو يهتف ساخرًا:- لا تحاول يا رمزي.. إن هذا لا يجدي معى بالذات، وأنت تعلم ذلك جيدًا.

ثم تحرك ناحية باب المكتب ورمزي يتابعه في برود وشراسة، وفي اللحظة التى فتح فيها باب الغرفة ليخرج منها التفت إلى الثاني قائلاً:- فكر جيدًا يا رمزي. فهذه المرة لن أتركك.

ثم خرج مغلقًا الباب في عنف، فإبتسم رمزي في غموض شيطاني وهو يستطرد:- اعرف انك لن تتركني يا عزيزي توفيق..

ثم شبك أصابعه أمام وجهه وبدا عليه أنه اتخذ قرارًا رهيبًا..

◙◙◙◙

تحركت سيارة دورية شرطة فى هدوء حاملة داخلها رجل أمن يبدو على ملامحه الملل وهو يزفر في ضيق مغمغمًا:- يا لها من دورية مملة..

نظر إلى السماء الملبدة بالغيوم ثم عاد وانحرف بسيارته يمينًا و.... وإتسعت عيناه فى تعجب.. فقد كانت- وعلى بعد عدة أمتار منه- تقف سيارة حديثة بيضاء بعرض الشارع وقد إرتفع جانبها الأمامي الأيسر قليلاً.

أوقف رجل الأمن سيارته وهو يحدق فى دهشة في السيارة الاخرى التى تسد الطريق بوقفتها الغريبة، إلا انه هز كتفيه وهو يتمتم:- تبدو لي سيارة أصابها عطب ما.. ولكن لماذا أوقفها صاحبها بهذه الصورة؟ وكيف يسير بها هكذا بدون لوحتها المعدنية؟

هبط من سيارته، وتساءل فى أعماقه عن سر الرهبة والخوف اللذان تسللا إلى كيانه.. سار قليلاً واقترب اكثر من السيارة البيضاء.. ضربات قلبه تزداد فى سرعة وهو يدور حولها ناحية الجزء المرتفع منها، و.....

ارتطمت عيناه بمشهد دموي رهيب انتفض له جسده.. شهق بصوت مرتفع يملؤه الرعب والفزع.. تراجع إلى الخلف وعيناه تتسعان أكثر وأكثر من هول ما يراه.. فأسفل الإطار كانت ترقد جثة لرجل بالغ محطمة الصدر تمامًا جراء ثقل السيارة، تخرج منها أنهار من الدماء الحمراء القانية لتغرق مساحة واسعة حول الجثة..

جثة توفيق..

ارتجف رجل الأمن من بشاعة المشهد.. أخذ نفسًا عميقا وهو يحاول استعادة تماسكه.. رفع جهازه اللاسلكي وقربه من فمه.. عيناه تلتفتان فى كل مكان حتى توقفتا عند أضواء معرض لبيع السيارات وهو يهتف بانفعال جارف:ـ من الدورية رقم ٦.. هناك حالة طارئة في شارع الـ.....

فجأة.. آلام رهيبة أصابت رأسه.. أرتج جسده بقوة وهو يشعر وكأن شيئًا ما صدمه، أو بمعنى أدق صدم أعماقه.. سقط جهاز اللاسلكي من يده.. أمسك رأسه بقوة والآلام تزداد.. تزداد.. و.....

صرخ رجل الأمن صرخة هائلة مزقت سكون الليل، وانفجرت الدماء من أنفه وفمه وعينيه فى مشهد مفزع وهو يسقط جثة هامدة، فى الوقت الذي تصاعد من جهازه اللاسلكي صوت يهتف

فى جزع واضح:ـ الدورية رقم ٦.. أجب.. الدورية رقم ٦.. أجب..

امتزجت دماء رجل الأمن بدماء الجثة الأخرى وشقا طريقهما على الأرض حتى إعترض جهاز اللاسلكي طريقهما والصوت يهتف منه:

ـ الدورية رقم ٦.. أجب.. أجب.. أجب..

ولمع البرق وضاع الصوت وسط دوى الرعد.. وتساقطت الأمطار فى غزارة.. وانتظر الصوت الاجابة.. أى إجابة.. ولكن كان الجواب في كلمة واحدة صامتة رهيبة.. الموت..

◘◘◘◘

داخل أحد الشوارع الضيقة، وسط برودة الجو القارس، أخذت نادين تراقب مراد بإهتمام شديد وهو ينظر بنظرة عامة متفحصة حوله.. لحظات وهز رأسه مغمغما كأنه يحادث نفسه وهو ينظر بعيدًا عند تقاطع ذلك الشارع مع آخر رئيسي:ـ توقفت سيارة الاسعاف هناك ثم انطلقا هاربين داخل هذا الشارع.. ورغم التطويق السريع للمنطقة كلها من جانب رجال الأمن، إلا أنه يجد الوقت الكافي ليتصل بي ..(ثم يستطرد متابعًا).. الاحداثيات تشير إلى أنه أجرى اتصاله من هذا المكان (رفع عينيه لينظر إلى أعلى مضيقًا).. ربما كان يتحدث من فوق سطح تلك البناية..

قالت نادين وهى تنظر بدورها إلى اعلى:ـ طبقا لمواجهتنا الأولى معهم فمن الواضح أنهما بارعان في التخفي والهرب*.. (ثم عادت تنظر إليه مستطردة).. اننا نفحص المنطقة منذ يومين ولم نعثر على شئ..

بدا وكأنه لم يسمعها وهو غارق فى التفكير العميق فعادت تتابع:ـ و لا أعتقد أنهما سيظلا في مصر بعد كشفهما.

التفت اليها مراد قائلاً في ثقة:ـ على العكس تماما أيتها الملازم.. فلو كانا ينويان الهرب بعيدًا لما اتصل بي دراكولا من الأساس.. ولكنه أراد باتصاله أن يؤكد بأنه سيظل هنا حتى ينال مني بطريقة أو بأخرى..

سألته فى إهتمام:ـ وماذا تتوقع؟

ضاقت عينا مراد وهو ينظر بعيدًا فى الفراغ قائلا في بطء بدا لها مخيفًا:ـ أتوقع أنه لن يسعَ لقتلي بطريقة مباشرة، بل سيلعب معي بأسلوب الثعالب الذى يعتمد على إنهاك الفريسة أولاً ثم الانقضاض عليها..

عادت تسأله مرة أخرى:ـ وماذا سنفعل؟

نظر إليها وهو يتنهد قائلاً فى هدوء:ـ لا يسعنا الأن سوى الانتظار مع تكثيف التواجد الأمني بالأحياء ومداخل ومخارج المدينة إلى أن يعلن هو عن وجوده مرة أخرى.. وبعد ذلك سنبدأ اللعب.. (ثم كشفت ملامحه عن ابتسامة صغيرة غامضة وهو يضيف).. ووقتها سنرى من منا يستحق بأن يفوز بلقب الثعلب الحقيقي..

***(راجع العدد الاول من سلسلة قضايا فوق العادة بعنوان "بصمات الدم")**

هنا تصاعد صوت محرك يقترب منهما، فالتفتا فى آن واحد ليجدا سيارة رياضية ذات أضواء مبهرة تقف أمامهما وصوت أنثوي يخرج منها هاتفًا:ـ المقدم مراد هنا بنفسه.. هذا يعنى أن القضية خطيرة بالفعل..

قطب مراد حاجبيه وبدا على وجهه ملامح الضيق وهو ينظر إلى تلك الفتاة التى هبطت من سيارتها وتتجه نحوهما، في حين كانت نادين تتأملها في انبهار تام.. فقد كانت الفتاة باهرة الحُسن إلى درجة ساحرة، وكل خلجة من خلجات وجهها تنطق بالجمال، بل إن هيئتها وقوامها كله يشبه في وصفه ما قرأته قديمًا عن الأميرات الحسناوات فى حكايات ألف ليلة وليلة..

تحول انبهارها إلى دهشة كبيرة عندما وجدت مراد وقد أشاح بوجهه بعيدًا في تذمر واضح في حين وقفت الفتاة بالقرب منهما ومدت يدها لتصافح نادين قائلة:ـ دينا حمدى.. صحفية فى جريدة (أنباء اليوم)

صافحتها نادين وهي تجيب وسط ابتسامة صغيرة:ـ الملازم نادين سليمان.. قسم قضايا فوق العادة مديرية الأمن..

رفعت دينا حاجبيها في دهشة وهي تلتفت إلى مراد قائلة:ـ لم أكن أعلم أن هذا القسم يضم ضابطات جميلات مثلك.. يبدو أنه حدث الكثير أثناء وجودي بالخارج..

ابتسمت نادين خجلا في حين قال هو بلهجة باردة:ـ مازالت تحت التدريب والتقييم..

عادت تقول له بلهجة خاصة ذات مغزى وهي تتأمل نادين :ـ من حسن حظها أنها تعمل تحت إدارتك، رغم أنك معتاد على العمل وحدك و....

قاطعها متسائلاً فى جفاء شديد:ـ ماذا تريدين بالضبط آنسة دينا؟

نقلت عينيها إليه وتنهدت وهي تضع يديها داخل جيوب سترتها الأنيقة قائلة:ـ أريد أن أحصل منك على سبق صحفي حصري..

خاصة وأن هناك شائعة قوية عجيبة ومخيفة تقول إن الذي قبضتم عليه ونقلتموه داخل سيارة الاسعاف كان دراكولا شخصيًا و..

قاطعها بجدية شديدة:ـ إنه مجرد قاتل.. وسنقبض عليه إن آجلا أو عاجلاً..

أخرجت يديها من سترتها ثم عقدت ساعديها أمامها وهي تقترب منه لتقف أمامه مباشرة قائلة بحزم:ـ هل تعتقد أنني ساذجة يا مراد؟ وجودك هنا يعنى أن الأمر يتعدى كونه مجرد قاتل.. ثم ما السر وراء استخدامكم سيارة إسعاف لنقله؟

صاح في حسم:ـ ليس هذا من شأنك أبدا..

هتفت هي فى عناد واضح:ـ بل هو من صميم شأني ومهنتي.. فالناس من حقها أن تعلم الحقيقة..

رد عليها وقد ارتفعت نبرات صوته قليلاً:ـ لا يا دينا.. إنني أعرفك جيدا.. فما تبحثين عنه هو المجد والشهرة.. لا يهمك الناس أو الحقيقة، حتى لو تسببت فى إشاعة الفوضى والرعب بين العامة..

أشارت بأصابعها إليه وهي تقول بصوت عال وبعصبية واضحة:ـ مراد.. إنك بذلك تخلط خلافاتنا الشخصية بعملنا.. و..

قاطعها بصوت بارد خافت لكنه جاء حاسمًا قاسيًا وحادًا كالسيف:ـ كفى..

بترت هي عبارتها والتقى حاجباها فى حنق بينما مال هو نحوها، وعيناه تبدوان كالحمم البركانية من فرط الغضب المكتوم الذي ينذر بالانفجار، قائلاً:ـ لا تتمادي فى كلماتك السخيفة..

واعلمي أن القضية كلها مازالت تحت بند السرية من الدرجة الأولى..

همت بقول شئ إلا انه تحرك من أمامها فجأة واتجه إلى سيارتها فى حسم وفتح بابها الأيسر هاتفًا فى صرامة عسكرية واضحة:

- هيا..استقلي سيارتك.. ولا داع لوجودك هنا فى مثل هذا الوقت المتأخر.. وعندما تنتهي القضية سنقوم بإعداد بيان شامل بالتفاصيل وسيلقيه مدير القسم فى مؤتمر صحفي كبير، ووقتها أعدك بأنك ستجلسين فى أول الصفوف أمام الكاميرات والأضواء التي تعشقينها أكثر من نفسك..

زفرت دينا فى ضيق واضح واتجهت بسرعة إلى سيارتها واستقلتها فى حنق في حين أغلق هو بابها في هدوء، فصاحت وهي تدير محركها:- لن أيأس يا مراد..

رد عليها في هدوء عجيب:- صحبتك السلامة يا دينا..

انطلقت بسيارتها، في حين عاد هو ليقف بجوار نادين التى كانت تتابع ما حدث أمامها بدهشة عظيمة، ولم تشأ أن تتدخل بينهما خاصة وأنه من الواضح أنهما يعرفان بعضهما جيدًا ويتكلمان معا بدون ألقاب.. وما هي إلا لحظات حتى سيطر فضولها الأنثوي على كيانها وأرادت أن تقول شيئًا، إلا انها تراجعت فجأة بعدما تصاعدت نغمة خاصة بهاتف مراد الذى أسرع بإخراجه وألقى نظرة على شاشته بعدها ضاقت عيناه عندما ظهرت أمامه صورة.. صورة لسيارة بيضاء وقد غاص أحد إطارتها في صدر جثة رجل بالغ في مشهد مقزز بشع تملؤه الدماء وقطع اللحم المفري.. قطب مراد حاجبيه وهو يتأمل الصورة جيدًا.. تحركت

نادين لتقترب منه أكثر، وألقت نظرها في لهفة وفضول على شاشة هاتفه.. شهقت في ذهول وهي تهتف:ـ يا للهول.. ما هذا بالضبط؟

وبمجرد إنتهاء كلماتها تصاعد رنة هاتف مراد الذي هتف في اقتضاب:ـ إنه المدير..

رفع هاتفه بجوار اذنه ثم رد بقوة:ـ معك المقدم مراد..

ـ أين أنت أيها المقدم؟؟

ـ أحاول تعقب أثر كلاً من دراكولا ومارتي..

ـ (ظهر الاسف على صوته وهو يقول) للأسف هروبهما بهذا الشكل يجعل ملف القضية مفتوحًا إلى أجل غير مسمى.. (استطرد متابعًا)..ومع ذلك هناك قضية جديدة في إنتظارك.. هل تلقيت الصورة التي أرسلتها إليك من موقع الجريمة؟

ـ نعم..

ـ وما رأيك؟

ـ الصورة تحمل الكثير من الأسئلة المحيرة..

ـ بالضبط.. وهذه هي مهمتك الجديدة أنت والملازم نادين.. إنني في أنتظركما.. وها هو العنوان..

بعد أن أخبره بالعنوان، وضع مراد هاتفه فى سترته وقال فى حزم وهو يتجه إلى سيارته بخطوات واسعة قوية ونادين تلحق به:ـ هيا.. لدينا مهمة جديدة..

جلست بجواره في صمت.. حاولت أن تستجمع شجاعتها لتسأله بعض الأسئلة الفضولية حول دينا الصحفية.. إلا أنها أطبقت

شفتيها عندما رأته يقود بملامح جامدة خالية من أي انفعال منطلقًا بسرعة ومهارة كبيرة.. إلى هناك.. إلى حيث القضية الجديدة..

◘◘◘◘

(٢) تحقيق :

دار مراد حول السيارة البيضاء دورة كاملة قبل أن يقف أمام الجثة محطمة الصدر قائلاً للمدير فى حزم:ـ منذ أن أرسلت لي صورة الجريمة وأنا أكاد أجزم أن وضع هذه السيارة بهذا الشكل عجيب حقًا.. فمن المفترض أنها تصدم الرجل وتلقيه أرضًا ثم تدهسه وتتخطاه وفي النهاية تقف.. ولكن ما نراه الأن عكس ما يقوله المنطق.. فهي سحقت صدره فقط ولم تتخطاه وكأنها هبطت فوقه تمامًا..

صاح المدير موافقًا إياه:ـ بالضبط.. وربما من أجل ذلك تم إسناد التحقيق في هذه القضية بطريقة مباشرة إلى قسم قضايا فوق العادة..

وهنا جاءت نادين لتقف بينهما قائلة:ـ الفارق الزمني بين مقتل هذا الرجل وضابط الدورية خمسة عشر دقيقة تقريبًا..

غمغم مراد وكأنه يحادث نفسه:ـ إذن القاتل كان لا يزال متواجدا حتي بعد ارتكابه لجريمته الأولى.. (ثم التفت إلى المدير مستطردًا متسائلاً).. هل هناك شئ آخر؟

أومأ المدير برأسه وهو يجيب:ـ نعم.. السيارة تخص هذا المعرض (وأشار بيده إلى هناك متابعًا).. وصاحبه لسبب ما قابع في مكتبه فاقدًا للوعي..

تنهد مراد وهو ينظر إلى المعرض قائلاً فى حزم شديد:- اعتقد أنه حان الوقت ليستيقظ لنستمع إليه.. فربما يعرف شيئًا ما يفيدنا فى القضية..

وتحرك الثلاثة إلى هناك.. إلى معرض السيارات.. إلى رمزي..

◙◙◙◙

تسللت رائحة نفاذة إلى أنف رمزي، فأنتفض في قوة وفتح عينيه فجأة ليجد أمامه مراد ومدير قسم قضايا فوق العادة ينظران إليه فى هدوء وبجوارهما نادين، فتساءل هو في ضعف ووهن:- أين أنا؟ ومن أنتم؟..

أجابه المدير بلهجة عسكرية:- أنت في مكتبك يا أستاذ رمزي بالدور الثاني بمعرض السيارات الخاص بك.. وأنا مدير قسم قضايا فوق العادة بإدارة المباحث الجنائية (ثم أشار بيده متابعا) و أقدم إليك المقدم مراد عبد الحميد وزميلته الملازم نادين..

غمغم رمزى وهو يحدق فى وجوههم قائلاً في دهشة:- أهلا.. أهلا وسهلا.. ولكن... (بتر كلماته وانتفض فجأة هاتفًا).. الساعة.. كم الساعة الأن؟

رفع معصمه أمام وجهه لينظر إلى ساعته ويشهق فى جزع ومراد ينظر إليه متأملاً اياه قائلاً:- إنها الرابعة صباحًا..

عاد يهتف في انفعال جارف:- يا إلهي.. الصفقة.. (ثم استطرد وهو ينظر لمراد) كنت في إنتظار مكالمة من الخارج بشأن صفقة سيارات جديدة.. (نظر اليهم وهو يهز رأسه في حسرة وألم).. كيف استغرقني النوم هكذا؟؟ ولماذا؟ لقد تركني توفيق ثم تناولت كوبًا من الليمون.. و ... و (ظهرت على ملامحه

محاولات التذكر وهو يتمتم).. و.. لا.. لا أعلم.. لا أتذكر شيئًا ويبدو أنني فقدت وعيي سريعًا.. (ثم راح يصيح فى حسرة) يا للخسارة.. لقد ضاعت الصفقة.. وضاعت فرصة لا تعوض في إتمامها.

تبادل المدير ومراد ونادين نظرات الصمت إلى أن قال الأول متسائلاً:- ومن صنع لك كوب الليمون؟

هز رمزي رأسه نافيا مجيبًا:- إنه ليس طازجًا، بل هو من نوعية العصائر المحفوظة، وقد قدمه لي توفيق بنفسه بعد أن أفرغ محتوياته في كوبين قدم أحدهما لي..و...

بتر عبارته ناظرًا إليهم في دهشة وبدا أنه تذكر شيئًا هامًا صائحًا:- ولكن.. ما سبب وجودكم هنا؟

أجابه المدير:- يؤسفني أن أبلغك بأن صديقك توفيق قد قُتل..

اتسعت عينا رمزى قائلاً والصدمة تعلو وجهه:- توفيق.. توفيق صديقى قُتل.. يا إلهي.. يا إلهي..

زفر مراد في ضيق وحاول أن يكون هادئًا إلا أن صوته خرج حادًا صارمًا وهو يقول:- أرجو أن تتمالك أعصابك يا أستاذ رمزي.. الجريمة حدثت بين الثانية عشر والنصف والواحدة صباحًا.. وثبت من التحريات المبدئية لرجال المباحث أنك كنت الوحيد في الشارع الذى مازالت أبوابه مفتوحة.. وقاموا باستدعاء بعض موظفي معرضك الذين أكدوا صحة التحريات كما تعرفوا على الجثة وأكدوا جميعًا أن السيارة البيضاء تخص هذا المعرض.. فما تفسيرك لكل هذا؟؟ خاصة أن هناك جريمة قتل أخرى لرجل أمن تم ارتكابها بعد حادث توفيق بربع ساعة..

صمت رمزي للحظات محاولاً استيعاب سمعه ثم قال:ـ لقد كنت نائمًا.. فاقدًا للوعي.. لم أشعر بشيء..

سألته نادين في لهجة حازمة:ـ توفيق كان آخر شخص موجود عندك.. لماذا؟

إلتفت رمزي إليها قائلاً:ـ بالتأكيد عرفتم أنه شريكي في هذا المعرض.. لقد كان من المفترض أن ننتظر المكالمة معًا.. وفي أثناء ذلك كنا نتناقش حول الصفقة وفجأة دب الخلاف بيننا ثم تركني ورحل..

التقى حاجباها وهي تتابع متسائلة:ـ ما نوع الخلاف؟؟

أجابها في توتر:ـ خلاف عادي.. يحدث كل يوم بين الشركاء..

هزت رأسها متفهمة فى حين تنهد المدير وهو يقول:ـ العاملون يؤكدون أن الخلافات بينكما زادت في الأونة الأخيرة..

نظر رمزي إليه فى عصبية واضحة قائلاً:ـ نعم... نعم.. ولكنها خلافات في وجهات النظر تجاه إدارة أعمالنا.

ساد الصمت للحظات بعدها قال مراد:ـ لاحظت وجود كاميرات مراقبة منتشرة داخل أرجاء المعرض..

صاح رمزي:ـ هذا صحيح.. إنه لدواعي الأمن..

أومأ مراد برأسه ثم قال فى سرعة:ـ أريد مشاهدة مقطع الفيديو الذي سجل ما حدث هذه الليلة من منتصف الليل تمامًا إلى الواحدة صباحًا..

أومأ رمزي برأسه وقال وهو ينهض من مكانه بصعوبة:ـ حسنًا.. تفضلوا معي..

وداخل حجرة فسيحة بالطابق الأرضي كان الجميع يقف أمام سبع شاشات مراقبة تنقل بوضوح زاوية رؤية مختلفة من المعرض يتصل بهم جهاز كمبيوتر خاص..وما هي الا لحظات حتى قال مراد وهو يضغط بعض مفاتيح الكيبورد:ـ إنه نظام مراقبة متطور يتضمن أيضًا أحدث أنظمة الانذار مع إرسال إشارات استغاثة لأقرب قسم شرطة.. (لم يلتفت إليه أحد لانهماكهم فى متابعة ما تنقله الشاشات في إهتمام..فقال في اقتضاب).. تابعوا معي الأن..

ولم يكد يكمل عبارته حتي ارتعشت أضواء المكان للحظة ارتفعت فيها الأعين، ثم عادت لطبيعتها فقال هو:ـ أنتم تعلمون بالطبع كم أصبح التيار الكهربائي متذبذبا منذ فترة طويلة..

لم يعلق أحد على عبارته في الوقت الذى ظهر فيه على إحدى الشاشات تسجيل واضح لرمزي وهو يتحدث إلى توفيق ثم يتركه الاخير في عصبية واضحة وبعد عدة ثواني يتجرع رمزي كوب الليمون دفعة واحدة فى الوقت الذي يظهر فيه توفيق على شاشة أخرى، فتنتقل عيون الجميع إليها لترصد خروجه من المعرض بخطوات غاضبة وبعد لحظات قليلة صامتة.. حدثت المفاجأة..

فأمام أعينهم ومن خلال ثلاث شاشات من زوايا رؤية مختلفة تحركت ببطء السيارة البيضاء ثم انطلقت فجأة من المعرض بسرعة رهيبة متجهة إلى الخارج..

صاحت نادين في انفعال:ـ كيف هذا؟ ومن الذي يقودها؟؟

في حين هتف مراد قائلاً لرمزي وهو يلقى نظرة على الشاشة الأخرى التى تنقل المكتب ويبدو فيها الأخير وقد التصق جبهته بسطح مكتبه فاقدًا للوعي:ـ قم بإعادة مشهد السيارة المنطلقة بالسرعة البطيئة جدًا..

أسرع رمزي بالضغط على بعض الأزرار فى تتابع سريع ليعيد المشهد من جديد بسرعة بطيئة.. و... هتف مراد وهو يشير إلى احدى الشاشات:ـ قم بتثبيت المقطع.. أريد تكبيرا لهذه اللقطة حتى يتبين لنا من قائدها..

تحرك رمزي في سرعة وقام بتنفيذ ما طلبه مراد وهو يقول في أسف:ـ من المؤسف أننا لن نر شيئًا لأن موديل هذه الفئة من السيارات ينزل إلى الاسواق بزجاج معتم..

كانت كلماته صحيحة بالفعل.. فعندما تم تكبير المشهد ظهر جانب السيارة الأيسر بوضوح ولكن زجاجها المعتم وانعكاس أضواء المعرض عليه حال دون رؤية من بداخلها..

التفت إليه مراد وهو يقول بلهجة آمرة ثائرة:ـ أريد رؤية تسجيلات الأربع والعشرون ساعة الماضية.. أريد أن أعرف من استقل هذه السيارة وبقى بداخلها حتى نفذ جريمته..

وطوال نصف ساعة كاملة كان يتم فيها عرض تسجيلات يوم كامل بالتتابع السريع ظهر فيها عمال المعرض يقومون بأعمالهم المعتادة وانصرافهم ثم بقاء رمزى وتوفيق وحدهما.. حتى لحظة انطلاق السيارة إلى الخارج و.... بدا واضحًا أن أحدا لم يقترب منها أبدًا..

فتبادل المدير ونادين نظرات متسائلة إلى أن قالت:ـ ماذا يعني هذا؟

قطب مراد حاجبيه وبدا غارقًا فى التفكير العميق.. بينما بقى السؤال حائرًا.. يبحث عن إجابة.. أو أى تفسير..

◙◙◙◙

الساعة الثامنة صباحًا..

بدا مراد غارقًا فى التفكير داخل حجرة مكتب مديره بقسم قضايا فوق العادة، والذي هتف به:ـ هل لديك شكوك حول تسجيلات المراقبة؟؟

ـ نعم.. لذلك أردت الكشف عما إذا كان هناك تداخلات أو تسجيلات إضافية حاول رمزي أن يخدعنا بها..

ـ كلامك هذا يعني أن له علاقة بما حدث..

نهض مراد واتجه إلى نافذة المكتب الضخمة قائلاً فى هدوء يملؤه التفكير، وهو ينظر إلى ذلك الشارع الرئيسي الذى يطل عليه مبنى مديرية الأمن:

ـ إنني أميل لذلك بالفعل، فعندما سألته نادين عن سبب وجود توفيق معه إلى هذه الساعة المتأخرة، كان هناك سؤال آخر أهم، وهو سبب وجودهما معًا في الوقت الذى كان فيه المعرض خاليًا من العمال والموظفين.. وهذا فى حد ذاته غريب بعض الشيء، خاصة عندما أكد العاملون أنهم تلقوا أمرًا من رمزي بانصرافهم جميعا وتركه هو وتوفيق وحدهما، وكأن هناك من تعمد أن تكون الأجواء خالية ومن ثم يتم تنفيذ الجريمة..

قال المدير وهو ينهض بدوره من خلف مكتبه:ـ ولكننا رأينا جميعًا رمزي وهو يتناول كوب الليمون ثم يفقد الوعي بعدها..

التفت إليه مراد وهو يقول في حزم:

ـ أعتقد أن هناك الكثير من الأمور ستتضح بعدما تقوم الملازم نادين ومعها فريق المعمل الجنائي بالانتهاء من فحص السيارة والجثتين وكوب الليمون.. بالإضافة إلى مقاطع المراقبة بالطبع.. ولكن... ولكن يبقى وضع السيارة بهذا الشكل في موقع الجريمة هو الأغرب على الإطلاق..

وهنا ارتفع صوت دقات خفيفة على باب مكتب المدير الذى صاح قائلاً وهو يعود ليجلس خلف مكتبه:ـ تفضل..

انفتح الباب لتدخل نادين وعلى وجهها علامات الإرهاق الشديد، وما إن رآها مراد حتى هتف بجدية حازمة وهو يجلس بدوره:

ـ هاتِ ما لديك..

تنهدت نادين وهي تجلس مقابل مراد وتضع بعض التقارير على المنضدة الصغيرة التي تفصل بينهما، ثم استجمعت أفكارها لثوانٍ معدودة وعينا مراد تترقبها فى شغف وقالت:

ـ قد يبدو الأمر أنها جريمة قتل نُفذت عمدًا مع سبق الاصرار والترصد، وأن القاتل إستخدم السيارة كأداة للجريمة ليقتل بها توفيق.. ولكن بعد قيام فريق المعمل الجنائي بالفحص والتحليل، ظهر العديد من المفاجآت..

اعتدل المدير في اهتمام ومال مراد إلى الأمام وكيانه كله فى حالة تركيز شديدة مع كلماتها وهي تستطرد:

ـ نتائج الفحص تقول إن السيارة لم تُستعمل.. (ظهرت الدهشة على وجه المدير بينما قطب مراد حاجبيه بشدة في حين تابعت).. حالة الموتور تؤكد أن السيارة لم تتحرك منذ فترة ولا تلاءم حالتها حالة سيارة تم استخدامها كأداة لتنفيذ الجريمة.. فليس هناك أى أثار أو خدوش على هيكلها تدل على أنها صدمت توفيق أو حتى أي إنسان..

هتف المدير فى استنكار:

ـ كيف؟!.. السيارة ارتُكب بها حادث قتل وكلنا رأيناها فى موقع الجريمة.

هزت نادين رأسها وهي تقول:

ـ اسمح لي يا سيدى أن تستمع إلى باقي النتائج، فليس هذا هو الغموض الوحيد الذى يكتنف القضية..

صاح بها مراد يسألها:

ـ ماذا عن جثة توفيق؟

عادت تتنهد وهي تجيب:

ـ فقط.. تحطم كامل للقفص الصدري أدى إلى وفاته فى الحال، وهذا أمر عجيب حقًا لأنه من المعتاد فى مثل هذه الحوادث، ونتيجة لاصطدام السيارة بأى شخص سواء من الأمام أو الخلف، أن تكون هناك كسور وكدمات فى مناطق مختلفة من الساق والركبة والفخذ، ثم وكرد فعل طبيعى يتدحرج على الأرض فيصاب في وجهه وباقي جسده. واذا كان هناك تعمد لقتله فإن السيارة ستواصل سيرها لتدهسه.. ولكن نتائج معاينة جثة توفيق تؤكد أنه فيما عدا الصدر فقط فإن باقي أجزاء

وأعضاء جسده في حالة سليمة تمامًا، حتي أنني حاولت تفسير الأمر بأنه كان يعدو هربًا من السيارة ثم انزلقت قدماه ليسقط أسفل عجلات السيارة.. ولكن هذا لا يفسر عدم تخطي السيارة له..

وهنا قال المدير مضيقًا:

- ومن المستحيل أن تكون السيارة قد وقفت فجأة هكذا..

وغمغم مراد متسائلاً:- ولماذا لم يهرب بها القاتل وتركها هناك؟؟

ثم عاد يسألها باهتمام شديد:- وماذا عن باقي النتائج؟

تابعت نادين قائلة:

- قبل أن أنتقل إلى باقي النتائج، هناك شيء محير. فعندما حصلت على عينة من دمائه اكتشفت أنه تم حقنه مؤخرا بكمية كبيرة من السوائل ذات تركيز عال من البروتينات مثل الالبيومين او الاميونوجلوبين..

تبادل مراد والمدير نظرات حائرة فاستطردت هي وقد بدت عليها الحيرة:

- ينبغي ان نعلم أولا أن البروتين عنصر هام جدا فى تركيب ووظيفة كل خلايا الجسم.. وهذا يعنى أنه بالتأكيد كان يعاني من مرض ما يمكن الوصول إلى ماهيته باجراء المزيد من الفحوص..

ساد الصمت لحظات قليلة ثم غمغم مراد قاطبًا حاجبيه:

- حسنًا.. تابعي باقي النتائج..

قالت نادين بصوت بدا لهما بأنه سينبئ بنتيجة تفوق أي توقع:

ـ البصمات التي وجدت على مقود السيارة تخص أصابع أخر شخص يمكن أن نتوقعه..

صمتت للحظات فهتف المدير في انفعال متسائلاً:

ـ رمزي؟؟..

هزت رأسها نافية وهي تقول بمزيج عجيب من الحزم والتوتر:

ـ لا.. بل توفيق..

وكانت مفاجأة مذهلة لهما.. وبكل ما تحمله الكلمة من معان..

◘◘◘◘

(٣) مفاجآت:

تجلت أقصى علامات التعجب على وجه المدير وهو يهتف متسائلاً فى دهشة:ـ ما هذه النتيجة العجيبة؟

قالت نادين في حيرة:ـ في الأحوال المعتادة من البديهي أن يرتدي القاتل قفازا حتي لا يترك وراءه أي بصمات، وفي هذه الحالة كان القفاز سيزيل آثار البصمات الأخري نتيجة احتكاكه بعجلة القيادة.. ولكن هذا التفسير ليس له قيمة لأن السيارة لم تستخدم من الأصل..

عاد المدير يهتف بذهول هائل:ـ إذن من أين جاءت بصمة توفيق؟

هزت كتفيها وهي تجيب:ـ هناك احتمال منطقى بأنه قام منذ فترة بمعاينة السيارة من الداخل بصفته تاجر سيارات وشريك فى المعرض.. لذلك بقيت بصماته على مقود السيارة..

هز المدير رأسه ببطء بينما بدا على مراد التفكير العميق للحظات قال بعدها في اقتضاب:ـ تابعي..

عادت تتنهد وهي تستطرد:ـ ضابط الدورية توفي نتيجة لإرتفاع شديد ومفاجئ فى ضغط الدم انفجرت على أثره وبطريقة عجيبة كافة شرايين المخ وتهتكت أنسجته بشدة داخل الجمجمة، وبالتالى توقفت خلايا المخ عن عملها وخصوصًا منطقة الجذع المسئولة عن الوعى بصفة خاصة ويكمن فيها مراكز التحكم فى التنفس وضربات القلب وتنظيم سائر الجهاز العصبى اللاإرادى..

غمغم المدير:ـ يا للبشاعة..

بينما تابعت هي:ـ اما بقايا عصير الليمون الموجودة في الكوب فتحليلها يؤكد أنه متشبع بعقار دورميكم ١٥ وهو مستحضر كيميائي منوم قوي وسريع المفعول، إلا أنه وبعد فحص الكوب نفسه ثبت أن أحدًا لم يتناول منه شيئًا..

عاد المدير يهتف:

ـ ولكننا رأينا جميعًا رمزي يتجرع الكوب دفعة واحدة عبر تسجيلات المراقبة..

ـ هذا صحيح.. ولكن من المعروف أن الفم يترك آثاره من اللعاب علي الكوب مهما مر الوقت ما لم يتم تنظيفه بالماء.. ورغم بصمات رمزي الواضحة علي الكوب، إلا أن حافته نظيفة تمامًا، مما يعني أنه لم يتناول العصير..

وهنا تمتم مراد بصوت خافت:

ـ هذا يعني أن رمزي يحاول خداعنا.. (ثم سألها)..وماذا عن التسجيلات؟

هزت نادين كتفيها وهي تجيب:

ـ المعمل الفني يؤكد أنها سليمة تمامًا وخالية من أية تداخلات أو تعديلات بهدف تزييفها، بإستثناء اهتزازات بسيطة فى العرض وعلى فترات متباعدة لم يستغرق كلا منها سوى جزء من الثانية ناتجة عن تذبذب التيار، والذي نعاني منه جميعًا..

نهض مراد من مكانه قائلاً:

ـ هل تأذن لي يا سيدي بأن نعيد مشاهدتها معا عبر جهاز البروجكتور الخاص بك..

ـ بالطبع.. لك هذا..

بالفعل قام مراد بإعداد الجهاز وعاد ليجلس مكانه، وطوال ساعة أخري كان ثلاثتهم يشاهدون التسجيلات باهتمام وتركيز غير عاديين، إلا أنهم لم يتوصلوا لشيء، حتي قال المدير في ملل:ـ من الواضح أن كل مقاطع المراقبة الخاصة بالسيارة البيضاء لا يوجد بها ما يفيدنا..

أومأ مراد برأسه ثم تنهد وهو ينهض من مكانه قائلاً:ـ إذن سنتابع تسجيل المراقبة الخاصة بمكتب رمزي، فربما نعثر على شيء...

اتجه إلى البروجكتور مرة أخرى وقام بتجهيزه ليعرض المشاهد الجديدة وعاد مكانه.. وبدأ العرض.. كل شئ كان يسير بصورة طبيعية.. لقاء رمزى مع توفيق داخل المكتب.. توفيق يتجه إلى ثلاجة صغيرة ويخرج منها علبة عصائر كبيرة ويفرغ محتوياتها فى كوبين موضوعين أعلى الثلاجة.. يقدم أحدهما لرمزي.. يتحدثان لفترة.. حركة الأيدى وخلجات وجهيهما تؤكد أن حديثهما أصابه العصبية الشديدة.. توفيق يخرج من المكتب ويبدو عليه الغضب الشديد.. رمزي يرفع الكوب ويجرعه دفعة واحدة.. لحظات يحاول النهوض.. يترنح قليلاً.. يرتمي على مقعده خلف المكتب.. يبدو عليه أنه يعاني من دوار..يمسك رأسه بكلتا يديه.. يميل إلى الخلف.. يعود إلى الامام.. ينهار على سطح

مكتبه وقد فقد الوعي تماما.. تمر عدة لحظات .. ثمة اهتزاز حدث فى جزء من الثانية .. و....

وهنا صاح مراد فجأة وهو يشير إلى الشاشة:

ـ ما هذا؟؟

هتف المدير:

ـ هل لاحظت شيئًا؟؟

أومأ مراد بالايجاب واندفع إلى جهاز البروجكتور وضغط زر الإعادة لمدة دقيقة سابقة فهتفت نادين:

ـ اذا كنت تتحدث عن الاهتزاز فكما نعلم هو ناتج عن..

قاطعها قائلاً:

ـ لا تسبقى الأحداث وانتظري قليلاً وشاهدى هذا..

ثم عاود تشغيل المقطع بالسرعة البطيئة وإحدى يديه تشير إلى نافذة مكتب رمزي التي تغطيها الستائر إلا من جزء بسيط جدا يكشف زجاجها.. قائلاً في إقتضاب:

ـ تابعوا معي..

وأمام أعينهم جميعًا ومن خلال ذلك الجزء البسيط المكشوف من النافذة لمع ضوء قوي.. فشهقت نادين وهي تهتف:ـ إنه البرق..

التفت إليها مراد وهو يقول:ـ بالضبط..

ثم قام عن طريق الجهاز بتكبير ذلك الجزء.. وإذا بالبرق يلمع بشدة هذه المرة ويظهر على ضوءه شلال من المياه يتساقط على السطح الخارجي.. فهتف المدير هذه المرة قائلاً فى دهشة:

ـ انها أمطار غزيرة..

قطب مراد حاجبيه وهو يتساءل في حزم:ـ هل يتذكر أحد أنها أمطرت بهذه الغزارة في وقت ما من ليلة أمس؟

أجابت نادين بسرعة:ـ لا.. أبدًا.. فرغم أن السماء كانت ملبدة بالغيوم الكثيفة إلا أن شوارع الاسكندرية لم تشهد أمطارًا منذ الخامسة من مساء أمس تقريبًا.. والدليل أيضًا أن الشوارع جافة ولا تتناسب حالتها أبدًا مع تلك التي نقلتها لنا الصورة الأن..

وهنا قال المدير مضيفًا:ـ لقد هطلت بغزارة شديدة على حدود الاسكندرية فقط، كما ذكرت نشرة الارصاد الجوية..

فهتف مراد:ـ إذن.. ما نراه هو تسجيل قديم لا يمت بصلة لما حدث خلال ساعات الأمس..

صاحت نادين:ـ ولكن الملابس وتتابع الأحداث بخروج توفيق من مكتب رمزي وظهوره على شاشة المراقبة الأخرى وهو يترك المعرض.. بل ودخولنا نحن إلى مكتبه..

قال مراد في ثقة:

ـ كل ذلك تم تنفيذه بإتقان شديد.. وإذا عدنا إلى ما شاهدناه الأن ستلاحظين أن هناك لحظة اهتزاز واحدة على شاشة المراقبة الخاصة بمكتبه في الفترة ما بين فقدان وعيه وحتى دخول رجال الشرطة.. وأنا أثق بأن هذا الاهتزاز وتوقيته لن نجده في مقاطع المراقبة الخاصة ببقية زوايا التصوير داخل المعرض.. مما يعنى أنه لم ينتج عن ضعف فى التيار وإنما عن تداخل دقيق جدا نفذه رمزي ليربط بين الفيديو الزائف و الفيديو الذي ينقل باقي أحداث تلك الليلة.. (صمت قليلا والعيون تتابع ما يقوله بإهتمام شديد وهو يستطرد).. أما الملابس.. فنحن فى الشتاء وعادة

نرتدى نفس القطع لمدد متقاربة جدا.. وبما أن الخلافات كانت دائمة بين رمزي وتوفيق في الاونة الاخيرة فبالتأكيد أنتقى رمزي المقطع المناسب والتى تتطابق فيها ملابسه وملابس توفيق التى رأيناها فى مشاهد المراقبة مع ملابسه وقت تنفيذ الجريمة، ونفذ خطته الشيطانية..

ظهر الاعجاب على وجه نادين، بينما قال المدير بجدية شديدة:

ـ تحليلك ممتاز كالعادة يا مراد.. ولكنه غير كافٍ..

أومأ مراد برأسه قائلاً فى حزم:

ـ بلى.. فمازلنا لا نعلم كيف نفذ جريمته بهذه الصورة الرهيبة.. فالتلاعب في مقاطع المراقبة لا يفسر وجود بصمات توفيق على مقود السيارة التى لم يتم استخدامها أصلاً.. ومع ذلك رأيناها جميعًا قابعة في موقع الجريمة.. (تنهد وهو يستطرد في حسم) وهذا يعنى أنه لابد من إجراء زيارة عاجلة لرمزي..

نهض المدير من مكانه وهو يقول:ـ فلتفعل ما تراه مناسبًا يا مراد.. المهم نريد نتائج في أسرع وقت ممكن..

أومأ مراد برأسه وقال بلهجة عسكرية:ـ تمام يا سيدي.. (ثم استطرد) وأقترح أن نضع رمزي تحت المراقبة طيلة الأربع والعشرين ساعة..

ـ وهذا ما أمرت به بالفعل يا مراد منذ أن تركنا معرضه..

ـ جيد..

ونهضت نادين واتجهت هي ومراد إلى باب مكتب المدير، وما إن أصبحا خارجه حتى قالت له بمزيج من التردد والخجل:

ـ سيادة المقدم.. هل تسمح لي ببعض الراحة؟.. إنني مرهقة جدا وإحتاج للذهاب إلى منزلي لـ..

قاطعها فى هدوء قائلاً:ـ يمكنك الذهاب أيتها الملازم.. أمامك أربع ساعات وبعدها سأتصل بك..هل هذا كافٍ؟..

كانت تحتاج إلى فترة أكثر منذ ذلك، ولكنها وجدت نفسها تبتسم وهي تجيب:

ـ نعم يا سيدي.. يكفى تمامًا..

تركته ومضى هو إلى سيارته وأنطلق بها بسرعة إلى هناك..

الى رمزي..

◙◙◙◙

ـ ما الذي تقصده بكلامك هذا أيها المقدم؟

هتف رمزي بسؤاله هذا في دهشة كبيرة وهو يحدق من خلف مكتبه بالمعرض في وجه مراد الجالس أمامه، والذي أجاب في هدوء شديد:ـ أنت تعلم ما الذي أقصده يا أستاذ رمزي..

صاح رمزي في عصبية مكتومة:ـ إذا كنت تتصور أنني من الممكن أن أقتل أعز أصدقائي فأنت واهم.. وما ذكرته لي الآن وشاهدته معك على شاشة هاتفك لا يساوي شيئًا.. بل يصلح لأن يكون جزءً من فيلم بوليسي غربي..

نظر مراد إليه في صمت ثم قال فى برود:ـ إذن ما تفسيرك؟..

نهض رمزي من خلف مكتبه وعقد كفيه خلف ظهره قائلاً وهو يتحرك بعشوائية داخل مكتبه:ـ بالنسبة للبرق المزعوم هذا فمن الممكن أن يكون مصدره فلاشات ضوئية مبهرة صادرة من

إحدى السيارات المارة.. أما المياه المتساقطة على الزجاج الخارجي فمن المرجح أن تكون خادمة ما داخل شقة من شقق البناية تقوم بتنظيف وغسيل النوافذ.. فنحن داخل بناية سكنية..

عاد مراد يسأله فى حدة:

ـ وكوب الليمون؟

رمقه رمزي بنظرة نارية ثم هتف:ـ أرجوك أيها المقدم.. بدلاً من أن تضيع وقتي ووقتك في استنتاجات لا تفيد في شئ.. ابحث عن القاتل الحقيقي.. (أشاح بوجه بعيدًا وهو يتابع بصوت حزين باكي).. القاتل الذي قتل أغلى إنسان في حياتي كلها..

لاحت ابتسامة ساخرة على وجه مراد وهو يقول في برود مستفز:ـ ولكنه يقف أمامي الأن..

ـ كل ما توصلت إليه لا يجعلني متهمًا..

ـ على الأقل يجعلك المشتبه رقم ١

هز رمزي رأسه وهو يقول:ـ مع الأسف.. مازلت تضيع وقتك أيها المقدم..

نهض مراد من مكانه وهو يتساءل بلهجة لاذعة:ـ بمناسبة ذكرك الدائم للوقت وفوائده.. ألم تجد الوقت الكافي للذهاب لتلقي العزاء في صديقك..

عاد رمزي يرمقه بنظرة قاسية وبدا انه سينفجر من الغضب ولكنه قال في هدوء عجيب:ـ اضطررت للبقاء في مكتبي لإنجاز بعض الأعمال العاجلة وسأذهب مباشرة إلى بيته لمقابلة زوجته والوقوف معها في هذه المحنة التي اصابتنا جميعًا..

أومأ مراد برأسه في صمت واتجه إلى باب حجرة المكتب ثم توقف والتفت فجأة قائلاً فى تحدي واضح:- إلى اللقاء قريبًا يا أستاذ رمزي.. قريبًا جدًا..

تجمدت ملامح رمزي قبل أن يقول في برود:- وأنا في انتظار هذا اللقاء على أحر من الجمر أيها المقدم..

وعقب خروج مراد عقد رمزي حاجبيه بشدة وبدا عليه التفكير العميق، ثم تناول هاتفه ودخل إلى قائمة الأسماء.. اختار احدهم.. لمس زر الاتصال.. انتظر لحظات بعدها هتف بدون مقدمات:- مجدي.. سآتي إليك حالاً.. فهناك أمر هام..

◘◘◘◘

(٤) المنزل رقم ٣١:

زفر مراد في ضيق بالغ وهو يقف بسيارته وسط زحام الطريق وتكدس السيارات بشكل عجيب فى ذلك الشارع الرئيسي الشهير حتى غمغم بحنق شديد:

ـ ألا ينتهى هذا الزحام أبدًا..

وهنا تصاعد صوت هاتفه وظهر رقم مديره على الشاشة التي تتوسط تابلوه سيارته فضغط زرا جانبيًا وهو يجيب بجدية:ـ معك المقدم مراد..سيدي..

جاءه صوت المدير وهو يسأل في لهفة:ـ هل تحدثت إلى رمزي؟

ـ نعم.. وواجهته بما توصلنا اليه.. ولكنه أنكر بشدة، بل ووضع تفسيرات منطقية أخرى من الممكن أن تأخذ بها النيابة في حالة التحقيق معه..

ـ كما قلت لك يا مراد.. نحتاج إلى دلائل قوية..

ـ بكل تأكيد يا سيدي.. (ثم سأله) هل هناك أخبار عن تحركات رمزي؟..

ـ نعم.. لقد ترك مكتبه وذهب إلى شقة صديق له يدعى مجدي.. وهو مازال هناك حتى الأن..

ـ سيدي.. أريد مراقبة دقيقة لكافة تحركاته وبدون أن ينتبه..

ـ لا تقلق من ذلك... ولكن ما خطوتك القادمة؟

ـ زوجة توفيق..

ـ لدي معلومة تؤكد أنها ترفض مقابلة أى شخص سواء من الأقارب أو الأصدقاء أو حتى رجال الأمن..

ـ إنني ذاهب إليها الأن.. فلابد من مقابلتها .. ولكني ومع الأسف عالق في زحام وسط المدينة منذ ساعة ونصف كاملة..

ـ حسنًا.. وفقك الله..

ثم أنهي الاتصال، وعاد مراد يزفر في حنق وهو يضغط على آلة التنبيه بسيارته ليحث الجميع على التحرك قليلاً.. ولكن دون جدوي.. و...

وتصاعد رنين الهاتف من جديد.. رنين مميز خاص باستقبال الرسائل.. فعاد ونظر إلى الشاشة وفتح الرسالة وقطب حاجبيه بشدة .. كانت رسالة من نادين تقول كلماتها (سيادة المقدم.. لقد توصلت إلى معلومة جديدة قد تفيد القضية كلها.. من الأفضل أن تأتي بنفسك إلى منطقة كينج مريوط ـ ثاني شارع يسار من بداية الطريق وبعد كيلو متر واحد ستجدني عند المنزل رقم ٣١.. وبداخله ستجد مفاجأة.. لا تتصل بي فأنا في وضع لا يسمح بالرد عليك)..

خفق قلب مراد ودب فيه القلق في الوقت الذى تصاعدت فيه أسئلة كثيرة في أعماقه.. ماذا تعني نادين بكلماتها هذه؟؟ هل توصلت لشئ بالفعل؟؟ ما الذى جعلها تذهب وحدها إلى ذلك المنزل؟؟ بل ماذا يوجد فيه؟؟ وهل هي بخير؟؟ وبتوتر بالغ أدار مقود سيارته وإنحرف بسرعة كبيرة ليخترق بها الاتجاه المقابل بشكل يخالف قوانين المرور تمامًا.. ووسط آلات التنبيه الغاضبة والساخطة انطلق بأقصى سرعة ممكنة إلى هناك..

الى المنزل رقم ٣١..

◘◘◘◘

بعد نصف ساعة كاملة، ارتكب فيها كل أنواع المخالفات، كان ينطلق فوق طريق غير ممهد بمنطقة نائية على حدود الإسكندرية، وما هي إلا لحظات حتى ظهر المنزل.. منزل قديم كئيب ذو مساحة كبيرة من دور واحد وأسوار عالية تحيط به وبالحديقة التى تقبع بالخلف.. ضغط مراد دواسة الفرامل بكل قوته مما أثار حولها الرمال والأتربة متوقفًا بالقرب منه واندفع خارج سيارته ووقف يتأمل بعينيه المكان كله.. ثم.. ثم التفت ورائه فجأة.. كان لديه احساس عجيب اكتسبه من خبراته العديدة ينبئه بأن هناك من يراقبه.. قطب حاجبيه وهو يدير عينيه في كل مكان.. عاد والتفت إلى المنزل الذي كان موقعه يثير في نفسه الشك والريبة.. فالمكان منعزل وبعيد عن العمران.. وفي خفة اتجه بسرعة إلى بوابته المفتوحة و... تناهى إلى مسامعه صوت خافت قادم خلفه وبسرعة البرق التفت ورائه وهو يخرج مسدسه من سترته ويصوبه إلى صاحب الصوت... واتسعت عيناه عندما رأى نادين أمامه ممسكة بمسدسها أيضًا.. فخفض مسدسه وهم بقول شئ إلا أنه تناهى إلى مسامعهما صوت أنين طويل مكتوم صادر من داخل المنزل.. فأشار مراد إلى نادين بالصمت ثم تحرك فى خفوت وهو يشير إليها بأن تتبعه.. تسللا فى خفة وعبرا البوابة المفتوحة شاهرين مسدسيهما في تحفز تام، وما هى الا لحظات حتى وصلا إلى باب المنزل.. وفى حنكة واضحة نتجت عن خبرتهما في أساليب

الاقتحام، وقفت نادين إلى يمين الباب في حين اتخذ مراد مكانه على اليسار.. تأمل مراد الباب.. يبدو متهالكًا.. دفعه بقدمه بضربة خفيفة فوجده مفتوحًا.. قطب حاجبيه بشدة وهو يشير إلى نادين بالاقتحام وبدأ العد التنازلي بأصابعه.. ثلاثة.. اثنان.. واحد.. وفي سرعة كبيرة اندفعا إلى الداخل في تتابع محترف منظم.. وكلا منهما يشهر مسدسه فى اتجاه مخالف للآخر.. و...

وجدا نفسيهما داخل ردهة فسيحة تتناثر داخلها قطع قليلة من الأثاث المهمل والمحطم ويتدلى من منتصف سقفها ثريا ضخمة يغطيها الاتربة.. في حين يتفرع من الردهة عدد من الحجرات المغلقة بينما يقبع ممران مظلمان في آخره، أحدهما على أقصى اليمين والأخر على اليسار.. ويعج المكان كله برائحة رهيبة.. رائحة الدم..

دارت أعينهما في المكان بترقب وتحفز واضحين، وتأمل مراد حوائط المنزل التي كانت تضم عددًا من المشاعل المتراصة على مسافات متساوية، ولاحظ وجود بقع مختلفة الاحجام وخيوط داكنة اللون.. اقترب من إحداها، ومد يده ليتفحصها وأخذ بعض ذراتها العالقة وقربها من أنفه ثم صاح في خفوت وهو يلتفت فجأة ويدير مسدسه مصوبا إياه في كل الاتجاهات وعيناه تجوب المكان بسرعة وتحفز:- دماء جافة..

ثم اقترب من نادين وهو يهمس لها في حزم:- أيتها الملازم أحتاج إلى تفسير لما نحن فيه الأن..

تراجعت نادين في دهشة وتمتمت وهي تهمس بدورها:- أنا؟!

أقلقه رد فعلها، فهتف بصوت أعلى قليلاً:- ألم ترسلي لي برسالة ذكرتِ فيها أن لديك معلومة هامة قد تفيد القضية و.....

بتر عبارته عندما رآها تحدق فيه بدهشة بالغة بعدها صاحت في تعجب:- مستحيل أيها المقدم.. لابد أن هناك خطأ ما.. فأنا جئت إلى هنا بناءً على رسالتك أنت..

وهنا ادرك مراد الأمر كله فجذبها من يدها قائلاً لها بمزيج من الحسم والغضب:

- هيا بنا.. إنه فخ..

وفجأة.. وقبل أن يخطو خطوة واحدة.. انغلق الباب بدوى كبير وكذلك النوافذ فتحرك مراد في سرعة ومعه نادين إلى أقرب نافذة، إلا أن ستائر حديدية ملساء لامعة هبطت فجأة لتغطي كافة المنافذ وتعيق وصوله إلى أي مخرج.. فقطب حاجبيه وقد عمّ الظلام المكان كله، فصاح في حنق بالغ وهو يخرج هاتفه من سترته:- يا للمهزلة..

كان يلوم نفسه بشدة لوقوعه بسهولة في هذا الشرك.. نظر إلى شاشة هاتفه ثم قال في غيظ:- لا يمكن إجراء مكالمة هاتفية.. لا يوجد تغطية.. بالتأكيد الوغد الذى أوقعنا هنا يملك أجهزة تشويش خاصة بالهواتف..

قالت هي في قلق بالغ:- من الواضح أنه خطط لكل شئ بدقة شديدة..(ثم مررت أضواء هاتفها على الحوائط وهي تقول في توتر).. لا يوجد أزرار للإضاءة..

عاد مراد ليقترب من أحد الحوائط وأخذ يدق بقبضته على سطحها، ثم تأمله في دهشة واندفع إلى حائط آخر وقام بفحصه بعدها زفر في ضيق:- الحوائط مبطنة بعازل للصوت..

هتفت في دهشة:- كيف؟.. لقد سمعنا الأنين صادر من داخل المنزل..

ضغط على اسنانه وهو يغمغم باستياء:- للأسف.. لقد تم خداعنا ببراعة..

تساءلت فى عصبية:- هل أصبحنا سجناء؟

لم يرد عليها وهو يعود ويتجه إلى احد الستائر الحديدية وقام بفحصها بسرعة ثم صاح:- انها ستائر من الفولاذ.. لن يجدى معها طلقات الرصاص..

وفجأة.. تصاعد صوت الانين.. كان واضحًا هذه المرة.. وخفق قلب نادين في جزع وتوتر شديدين.. وتجمد وجه مراد وهو يحاول تمييزه وتحليله ومعرفة مصدره.. كان من الواضح أن صاحبه يعاني من عذاب مريع.. ولكن الأغرب أن الصوت يأتي إليهما من كل اتجاه، وهنا وعلى أضواء هاتفيهما عاد مراد ليرفع مسدسه ويصوبه وهو يدور بعينيه في كل اتجاه وسارعت نادين لتفعل مثله و....

وفي مفاجأة غير متوقعة بالمرة.. وجدا وكأن قوة رهيبة انتزعت مسدسيهما من بين أيديهما، وفي لمح البرق ارتفع السلاحان إلى أعلى واختفيا وسط الظلام.. وكرد فعل طبيعي وفي آن واحد رفع الاثنان أضواء هاتفيهما إلى أعلى ولكن.. لم يجدا شيئًا..

وصاحت نادين في ذهول:ـ ماذا يحدث بالضبط؟! وكيف؟ ومن فعل ذلك؟!

لم يرد مراد عليها وبدا غارقًا فى التفكير وهو يحاول تحليل ما حدث والعثور على أي إجابة.. ولكن، ومع رائحة الدم المنتشرة فى الاجواء، ردد عقلاهما سؤالاً واحدًا...

ماذا سيحدث فى الدقائق القادمة؟؟

◘◘◘◘

في نفس الوقت..

وعلى مقربة منهما.. في نفس المنزل وداخل حجرة سرية.. أطلق رمزي ضحكة ساخرة وهو يقف مع مساعده مجدي أمام شاشات المراقبة التي تنقل أرجاء المكان وعيناه تنظر إلى صورة مراد ونادين قائلاً فى مزيج عجيب من الشراسة والشماتة وكأنه يحادث الأول:ـ ها قد وقعت في الفخ كالغر الساذج أيها الضابط الذكي.. (ثم التفت إلى مجدي وربت على كتفه وهو يستطرد).. صديقتك التي تعمل فى شركة الاتصالات تستحق مكافأة كبيرة..

ابتسم مجدي وهو يقول:ـ كلنا تحت أمرك يا سيدي..

فقال رمزي وهو يشير إلى مراد عبر الشاشة مضيفًا بلهجة حملت كل معاني الشر:ـ وكذلك كل من يقف في طريقي نهايته هنا..

ثم عاد يطلق ضحكته الشيطانية قائلاً وهو يتابع الشاشة التي تنقل حيرة مراد ونادين:ـ كنت أتمني أن أقول له.. مرحبًا بك في بيت الظلام..

ابتسم مجدي والتفت إلى سيده متسائلاً في شراسة:- هل نبدأ اللعب؟

هتف رمزي:- لا.. لا.. ليس الأن.. اتركهم لفترة أخرى.. حتى تنهار أعصابهما أكثر وبالتالى سيكون من السهل القضاء عليهما.. (ثم نظر إلى ساعته واتجه إلى باب الحجرة السرية مستطردًا).. للأسف كنت أتمنى أن أشاهد نهايتهما على الهواء مباشرة.. ولكن لدي موعد هام في الميناء لإتمام بعض اجراءات الصفقة الجديدة.. (التفت إلى مجدي وهو يتابع بلهجة آمرة).. اتصل بي عقب انتهاءك منهما..

أومأ مجدي برأسه وهو يقول باحترام بالغ:- أمرك سيدي..

وما إن أغلق رمزي الباب وراءه حتى ابتسم مجدي وهو ينظر في ساعته قائلاً:- فلننتظر ١٠ دقائق أخرى وبعدها نبدأ اللعب..

واتسعت ابتسامة الشر لتملأ وجهه.. وكيانه كله.. ودون أدنى ذرة من الرحمة..

◙◙◙◙

قالت نادين بصوت مرتجف:- قلبي يحدثني بأن القادم سيكون أسوأ بكثير..

نظر اليها مراد وقال في حزم صارم:- هناك قاعدة أساسية في عملنا أيتها الملازم.. وهي ألا تعطي فرصة للخوف بأن يسيطر عليكِ ويهزمك، فهذا كفيل بإرباك عقلك وبالتالى لن تفكري بالشكل السليم..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحاول التماسك:- ولكن.. ولكن ما تفسيرك لما حدث الأن؟

ـ دعينا من محاولة ايجاد تفسير لما رأيناه.. فهذا سيعمل على إضاعة وقتنا.. والأفضل أن نصب كل تركيزنا الأن في ايجاد مخرج من هنا..

تلتفت حولها وهي تقول:ـ ولكن.. يبدو لي أنه ما من مخرج..

صاح في ثبات:ـ لم نبدأ البحث بعد..

سألته:ـ وبماذا تقترح؟

نظر مراد إلى هاتفه في صمت ثم قال:ـ علينا أولاً أن نبحث عن إضاءة بديلة عن تلك الصادرة من هواتفنا.. فمن الأفضل أن نوفر طاقتها، فربما نحتاج لإجراء اتصال ما فيما بعد..

نظرت حولها ثم قالت وهي تشير إلى الحوائط:ـ ليس أمامنا سوى أن نوقد تلك المشاعل المعلقة.. ولكن.. كيف نحصل على مصدر لإشعال النار؟؟

أخذ عقل مراد يعمل في سرعة وهو ينظر في كل اتجاه حتى توقفت عيناه عند إحدى جوانب الردهة فقال:ـ ربما علينا أن نفعلها بإسلوب الكشافة.. بطريقة الاحتكاك لتوليد النار..

اتجه بسرعة إلى قطع الأثاث المحطم والملقاة بإهمال وانحنى يتفحصها باهتمام ودقة وبعد دقيقة كاملة اعتدل وهو يهز رأسه قائلاً:ـ للأسف الأخشاب كلها رطبة وليست جافة.. وبالتالى لا تصلح لأن نحصل منها على النار..

عاد عقله يفكر بسرعة خارقة للبحث عن طريقة أخرى و....

رأته نادين ينظر إليها طويلاً وهو معقود الحاجبين وقبل أن تقول شئ بادر بسؤالها وهو يقترب منها:ـ هل هذا الوشاح من الصوف؟

وبصورة لاإرادية هبطت بنظرها إلى وشاحها الأنيق الذي يلتف حول عنقها ليحميها من البرد ثم قالت في دهشة:ـ نعم..

ـ للأسف فأنا مضطر لاستخدامه في إشعال النار..

ناولته إياه وهي تسأله باستغراب شديد:ـ ولكن.. كيف؟

أجابها بأسلوبه المقتضب المعهود:ـ سترين..

وأمام عينيها الذاهلتين وجدته يشرع في تفكيك غطاء هاتفه الخلفي ويخرج بطاريته وهو يشير بيديه إلى احد المشاعل قائلاً لها:ـ احضري واحدا منهم..

ذهبت في سرعة وأحضرته إليه بينما قال لها وهو يرقد واضعًا الوشاح المصنوع من الصوف على الأرض:ـ اجعليه قريبًا من يدي قدر الإمكان..

نفذت ما أراده بينما أمسك الوشاح في يد وبطارية هاتفه فى اليد الأخرى ثم قام بحك طرف البطارية مع الصوف بقوة شديدة وما هي الا لحظات حتى اشتعل النار في الصوف*، فقربه على الفور من رأس المشعل الذى التقط النيران و... وأضاءت شعلته المكان بشكل افضل..

وفي مكمنه السري هتف مجدي بدهشة عظيمة وهو يتابع مع يفعله مراد على شاشات المراقبة:ـ يا للشيطان.. هذا الضابط بارع حقًا.. (ثم ضغط عدة أزرار باحدى الاجهزة القابعة بجواره وهو يقول).. علينا أن نبدأ اللعب فورًا.. وسأبدأ بأفضل لعبة لدينا..

***(حقيقة)**

في نفس الوقت، ابتسمت نادين فى اعجاب وهي تراقب مراد يعيد البطارية إلى هاتفه ويعيد تشغيله ثم يمسك بالمشعل، وهمت بقول شئ إلا أنه هتف بها:- هيا التقطي مشعلاً أخر ودعينا نبحث عن مخرج..

أومأت برأسها واتجهت إلى أحد المشاعل الاخرى وحاولت إخراجه من حامله المعلق ولكن بلا جدوى فصاحت:- هذا المشعل مثبت في حامله..

اتجه إليها وقرب المشعلين بعضهما ببعض فإلتقط الثاني نيران الأول و....

ودوى فى المكان عواء رهيب.. عواء ذئب متوحش..

◙◙◙◙

(٥) لعبة الدم:

التفت الاثنان بسرعة لينظرا باتجاه الممرين، وهبط قلب نادين إلى أخمص قدميها وتحفزت عضلات مراد عندما سمعا زمجرة شرسة مخيفة آتية من أحد الممرين الموجودين بنهاية الردهة.. ووسط ظلام الممر الأيسر التمعت عينان.. عينان ناريتان مضيئتان مفزعتان، شهقت لهما نادين في ذعر.. بينما تجمدت ملامح مراد وهو يراقب ذلك الكيان الرهيب الذي ظهر لهما هناك..

كان ذئبًا متوحشًا رهيبًا في حجم كلب كبير.. تلتمع أنيابه الدامية وتعكس أضواء النيران المتراقصة، في حين يسيل الزبد من شدقيه.. اقترب منهما في بطء شديد وزمجرته المخيفة تتردد في ارجاء الردهة، وفي حزم خافت قال مراد بلهجة آمرة وهو يناول المشعل لنادين:ـ عليكِ أن تذهبي عبر الممر الآخر لتبحثي لنا عن مخرج..

ـ ولكن.. ولكني لن استطيع أن أتركك وربما تحتاج المشعل في التغلب على..

ـ (مقاطعًا) هذا أمر أيتها الملازم..

أخذت منه المشعل بينما استطرد:ـ سأتحرك الأن ببطء.. وابقي ورائي، بحيث أكون دائمًا في المسافة بينك وبين ذلك الذئب.. وعندما يكون الممر خلفك مباشرة.. اتجهي إليه بأسرع ما يمكنك..

وبالفعل تحرك مراد بخطوات حذرة بطيئة وعينيه ثابتتين تنظران بتحفز شديد إلى عيني الذئب اللتان تطل منهما أطنان من الشراسة والوحشية..

ولو انتقلنا إلى الحجرة السرية في هذه اللحظة لوجدنا مجدي يهتف في ذهول حائر:- ماذا جرى لهذا الذئب؟ لقد اعتدت منه الهجوم وافتراس ضحيته فور رؤيته لها..

ربما لا يعرف مجدي طبيعة الذئاب جيدًا، بعكس مراد الذي يدرك تماما أن الذئب يستطيع أن يميز الخائف المرتجف من الشجاع الصلب.. ولأن بطلنا من ذوي الأعصاب الفولاذية والقلوب الحديدية، فقد أدرك الذئب أنه أمام نوعية مختلفة من الرجال.. مما جعله يتريث في هجومه ويدرس طبيعة خصمه أولاً، وهو ما كان يعلمه مراد ويعلم أيضًا أن الأمر لن يطول، فما هي إلا ثوانٍ معدودة وطبيعة الذئب الهجومية ستتغلب في النهاية على أى تفكير يخص فريسته.. وهذا ما حدث..

ففي اللحظة التى اندفعت فيها نادين بعيدًا تجاه الممر الثاني وهي تمسك بالمشعل، زمجر الذئب في شراسة رهيبة وهو يكشر عن أنيابه.. وعلى أضواء المشعل الثاني انقض في مشهد مخيف على مراد الذي تفادى وثبته بخفة وبراعة وهو يرى مخالبه الحادة تمر أمام وجهه.. أطلق الذئب صرخة حادة رفيعة وهو ينظر في غضب إلى مراد الذي اندفع إلى قطع الاثاث المهملة واختطف قطعة خشبية قصيرة غليظة وأمسكها بكلتا قبضتيه واستقبل بها انقضاضة الذئب الثانية الذي تلقى ضربة قوية فوق أنفه. وكرد فعل عنيف من أثر الضربة، انفلتت القطعة الخشبية

من بين يدى مراد وطارت بعيدا.. وعاد الذئب يطلق زمجرته الوحشية وقد اشتعل غضبًا من خصمه القوي وحاول أن ينشب مخالبه في ظهر مراد، إلا أن الاخير كان قد اندفع يعدو من أمامه وانطلق الذئب وراءه..

وشهدت الردهة الفسيحة أغرب مشهد يمكن لإنسان أن يتابعه.. حتى أن مجدي داخل حجرته السرية أطلق شهقة عجيبة وهو يتابع عبر الشاشات وبذهول شديد ما يفعله مراد..

فمن الطبيعى أن يعدو مراد بعيدا عن الذئب ويتجه ناحية الممر مثلاً.. ولكن ما حدث منه يخالف كل التوقعات.. فقد أخذ يعدو بجرأة وإقدام أمام الذئب بشكل دائري، اعتمادا على معلومة علمية طبية قرأها حديثًا تؤكد أن الذئاب عمودها الفقري مستقيم متصل بالرقبة وهذا يجعلها لا تستطيع الالتفاف إلا بزاوية بسيطة جدا، وبالتالي فإن الدوران الدائري يرهقها فتضطر إلى ترك فريستها وتذهب بعيدًا*..

وهذا ما حدث بصورة عملية، وقد بدا الإرهاق واضحا على الذئب وهو يحاول الوصول إلى مراد الذى اخذ يفكر في حل آخر. فهو لن ينتظر ويبقى على هذا الحال فترة طويلة إلى أن ييأس الذئب و..

وتعالى في المكان صيحة قتالية.. فالتفت مراد إلى مصدرها في دهشة ليجد نادين تندفع بسرعة باتجاه الذئب وفي يدها الشعلة في محاولة منها للنيل من الذئب الذي تراجع سريعًا قبل أن تلمسه النيران.

---

*(حقيقة علمية تم اكتشافها حديثا)

أخذ الذئب يدق بمخالبه على الأرض بغضب وشراسة وهو يحاول أن يجد ثغرة للانقضاض على نادين، التي اتخذت مكانها بجوار مراد الذي صاح بها:ـ ما الذى جعلك تعودين؟

هتفت وهي تحرك الشعلة أمام عيني الذئب لتمنعه من الاقتراب منهما:ـ كان من المستحيل أن أتركك هكذا.. قد أكون خائفة بعض الشئ لأنني ولأول مرة أتعرض لهذه المواجهات، ولكن ليست لدى صفة الجُبن..

ربما لم تلمح ابتسامة الاعجاب التي ارتسمت على وجهه، وهمّ بقول شئ ولكن... ولكن حدث أعجب شئ يمكن حدوثه في مثل هذه المواقف..

فأمام أعينهما وجدا الذئب يطلق عواءً غريبًا وبدا أنه يعاني من آلام أصابته، ثم فجأة سقط دون حراك..

ودون إضاعة ثانية واحدة في الاندهاش أو البحث عن تفسير، جذب مراد يد نادين وأخذ منها المشعل وهو يهتف في حزم:ـ هيا..

صاحت وهي تعدو بجانبه تجاه الممر الثاني:ـ يا إلهي.. ماذا جرى؟؟.. هل مات فجأة؟؟

ـ لا.. فمازال يتنفس..

في نفس الوقت الذى انتفض فيه مجدي داخل حجرة المراقبة السرية وهو يصرخ في ذهول:ـ ماذا حدث؟.. وكيف؟؟

كان مراد وقتها يعدو داخل الممر وبجواره نادين التي اشارت إلى نهايته وهي تهتف:ـ هناك على اليسار درجات سلم تؤدي إلى حجرة بالاسفل يوجد بها مخرج..

صاح بها وهو ينظر إلى الغرف المتراصة على جانبي الممر:- وماذا عن هذه الحجرات؟؟

ـ كلها مغلقة بإحكام شديد..

ـ (صائحًا) الرائحة الرهيبة التي تملأ المكان تشعرني بأنني داخل مقبرة جماعية..

كانا قد بلغا نهاية الممر، فانحرفا إلى اليسار واندفعا نزولاً إلى الحجرة، والتي ما إن دخلاها حتى أغلق مراد بابها عليهما ومط شفتيه وهو يتفحصه سريعا قائلاً:

ـ للأسف ليس به مزلاج..

ثم ألتفت يتأمل المكان الذي يشبه قبوًا صغيرًا خاليًا تفوح منه رائحة عجيبة وكأنهما سقطا داخل مستنقع قذر، ولا يوجد به سوى ذلك الباب الذي دخلا منه وأربعة من المشاعل كل منها يتوسط حائطًا من الحوائط الأربعة.. اتجه إلى أحد المشاعل وأضاءه بمشعله، وكذلك فعل مع مشعل أخر فازدادت نسبة الإضاءة بالمكان، ثم رفع عينيه إلى أعلى ليجد نافذة مرتفعة في منتصف إحدى الحوائط مغطاة بلوح خشبي متهالك، فخطى بضع خطوات ووقف أسفلها مناولا المشعل الذي يحمله إلى نادين قائلاً:- هل تقصدين هذه؟؟

تناولت المشعل منه وهي تجيب في سرعة:- نعم.. الخشب الذي يغطيها يبدو متهالكا ومن السهل نزعه ..يمكنك أن ترفعني إليها و...

بترت عبارتها عندما وجدت ملامح وجهه قد تجمدت وبدا أنه لم يسمعها وأخذ يدق بقدميه على الأرض وينصت باهتمام إلى الصوت الصادر من الدقات و... غمغم في توتر:

ـ يا الهي.. هناك فراغ أسفلنا.. (ثم صرخ فجأة وهو يشير ورائها) تشبثي بهذا المشعل..

وبدون تردد تركت نادين المشعل يسقط من يدها وقفزت ناحية اقرب مشعل آخر معلق وامتدت قبضتاها لتتشبث بحامله الحديدي، وهو ما فعله مراد أيضًا وتشبث بحامل آخر من الجهة الأخرى..في نفس الوقت الذي تحركت أرضية القبو لتنفصل إلى جزئين تباعد كل جزء عن الأخر ليكشف عن فجوة أخرى بمساحة القبو بأرضية منخفضة عن الأولى بمسافة لا تتعدى الـ ٧٠ سم وتمتلئ عن آخرها بكل أنواع الثعابين السامة، والتى تردد فحيحها داخل أرجاء القبو في مشهد مفزع اتسعت له عينا نادين في رعب واضح وشهقت في ذعر وكل خلية من خلايا جسدها ترتجف من هول ما تراه، ثم نقلت عينيها إلى مراد الذي كان يهتف بها بقوة وهو معلق بأحد حوامل المشاعل الأربعة:

ـ نادين.. تماسكي حتى أصل إليك ولا تنظري إلى أسفل وارفعي أرجلك بعيدًا بأقصى ما تستطيعين..

لم تكن تحتاج فعليًا إلى تلك النصيحة فقد كانت وبصورة لاإرادية تحاول رفع جسدها بعيدا في محاولات يائسة.. ومع ذلك ورغم كل شئ إلا أن دقات قلبها في تلك الثانية التي أعقبت نطقه باسمها تحولت من الذعر إلى خفقات سعادة في لحظة لامنطقية تجسد عجائب النفس الأنثوية.. لقد شعرت بندائه هذا أنه ـ ورغم

الجدية الشديدة التي يبدو عليها دائمًا- يخفي بداخله انسانًا مرهف الحس بديع المشاعر، خائف عليها بصورة لم تشعر بها من قبل حتى ومن أقرب أقاربها.. لم تستغرق هذه الافكار بداخلها سوى ثانيتين قالت بعدهما بصوت هادئ أدهش مراد:

- إنني في انتظارك..

ثم انتفضت وقد شعرت بالحرج وبفداحة ما تقوله. فمن المفترض أنها ضابط برتبة ملازم وقد تلقت تدريبات عديدة اجتازتها كلها بنجاح، لذا فمن الافضل أن تبحث بنفسها عن مخرج لهذا الموقف الرهيب. نظرت حولها لتجد المشعل الذى سقط من يدها ملقى بين الثعابين وقد انطفأت شعلته نتيجة لسقوطه فوق فوهته فارتفعت بعينيها إلى المشعل الذى تتعلق بحامله والذي أشعله مراد منذ لحظات وامتدت يدها إليه وهي تهتف:- سألقي بهذا المشعل في وسطهم لإحراقهم..

فقال وهو يخرج المشعل من حامله الذي يتعلق به:- الأدخنة المتصاعدة من إحراقهم ستتسبب في اختناقنا قبل أن يحترقوا بسبب عدم وجود أي مصدر تهوية.. ثم أن ذلك سيجعلهم يتجهون إلى حوائط القبو ويزحفون بسرعة هربًا من النيران وهذا سيعرضنا لخطر أكبر (وأستطرد وهو يرتفع بجسده ليستند على الحامل في محاولة ليستخدم كلتا يديه).. لدي حل آخر أسرع وأفضل..

صمتت وهي تتابعه باهتمام شديد وهو ينزع فوهة المشعل ويلقيها بعيدا ثم يعود ويتعلق بيده ممسكًا بالحامل الحديدي وبيد

الأخرى يمسك المشعل ويصب ما بداخله من كيروسين على كلتا قدميه.. الأمر الذي أثار دهشتها فصاحت به متسائلة:

ـ ماذا تفعل؟

أجابها وهو يفرغ آخر القطرات الموجودة بداخل المشعل ثم يعيده إلى مكانه بالحامل:

ـ الثعابين تكره رائحة الكيروسين.. وتبتعد عنه*..

نظرت إليه في ذهول، وقبل أن تقول شيئًا وجدته يتحرك في حذر وبطء ويترك الحامل الحديدى تاركًا قدميه تقفان وسط الثعابين بشجاعة عجيبة وبثقة متناهية لما يفعله.. وارتفعت أصوات الفحيح الرهيبة وقد بدت الثعابين غاضبة منزعجة بسبب الرائحة، وراحت تبتعد برأسها عن قدمي مراد الذي بدأ يتحرك وسطها في هدوء شديد وبأعصاب متماسكة..

وفي مكمنه السري فرك مجدي عينيه غير مصدق لما يشاهده عبر الشاشات ثم صرخ في مزيج عجيب من الدهشة والغضب والغيظ:ـ هذا الضابط شيطان حقيقي.. من أين يأتي بمثل هذه الأفكار؟

ثم نهض وهو يستل مسدسا ضخمًا ويرفعه أمام عينيه هاتفًا في شراسة:ـ لن تصلح معه ألعاب بيت الظلام.. لذلك ليس أمامي سوى قتله بالطريقة المباشرة..

وانطلق خارج الغرفة السرية إلى هناك..

الى مراد..

---

*(حقيقة)

كان مراد وقتها قد وصل إلى نادين ثم أعطى ظهره لها قائلاً:- هيا اصعدي فوق كتفي وحاولي أن تصلي إلى تلك النافذة العلوية..

وفي مرونة كبيرة استندت بقوة على الحامل الحديدي ومدت قدميها ووضعتهما فوق كتفيه ودفعت جسدها بلياقة مدهشة لتقف فوقه وقد احكم قبضتيه حول قدميها ليساعدها على الثبات، وبدا الاثنان وكأنهما لاعبان يقدمان استعراضًا داخل خيمة السيرك. وفي هدوء شديد تحرك مراد خطوة واحدة في الوقت التي كانت فيه نادين تحاول الاحتفاظ بتوازنها إلى ان أصبحت أمام النافذة المغطاة بلوح خشبي قديم أخذت تحاول نزعه بقوة حتى استجاب بسرعة نظرا لتهالكه وتشبعه بالمياه، ثم ألقته بعيدا. ورغم سعادتها بضوء الشمس الذي استقبلته بوجهها واستنشاقها للهواء النقي إلا أنها قطبت حاجبيها عندما صاحت لمراد:- للأسف هناك قضبان حديدية تسدها..

هتف بها وهو بالأسفل:- حاولي نزعها بكل قوتك، فبالتأكيد ستجدينها صدئة متآكلة..

استجمعت كل قوتها وأخذت تدفع بهم إلى الداخل والخارج بصورة متتابعة قوية حتى تخلخلوا من الإطار الذي يحيط بهم ثم انتزعتهم ودفعت بهم إلى الخارج وهي تقول:- حمدا لله..

وما أن انتهت من عبارتها حتى سمعا صوت الباب وهو ينفتح بعنف فالتفتا بسرعة ليجدا مجدي واقفًا عند عتبته مصوبًا نحوهما مسدسًا وقد برقت عيناه في شراسة وهو يقول بلهجة تحمل رائحة الموت:- أحييك على ذكائك أيها الضابط.. ولكن حان

وقت رحيلك من الدنيا كلها.. أما الفتاة الجميلة فسأستمتع برؤيتها وهي تسقط بعد مقتلك وسط الثعابين الجائعة..

شهقت نادين في ذعر بينما رمقه مراد بنظرة صارمة وقد تحفزت عضلاته وعقله يعمل بسرعة خارقة للبحث عن طريقة لمواجهة الموقف في الوقت الذى استعد مجدي للضغط على الزناد و....

وفجأة.. تناهي إلى مسامع الجميع صوت زمجرة رهيبة آتية من وراء مجدي الذي انتفض وهو يلتفت إلى الخلف و.... وأمام عيني مراد ونادين وجدا الذئب ينقض على مجدي الذي لم يجد الوقت ليدير فوهة مسدسه إليه، وكنتيجة طبيعية لهذه الانقضاضة سقط الاثنان.. مجدي والذئب.. وسط الثعابين في مشهد لا يستطيع أى قلم أن يصفه.. فقد صرخ مجدي صرخة هائلة وعلى وجهه أقصى علامات الألم والعذاب والثعابين تلتف حوله وتلدغه من كل مكان من جسده، في الوقت الذى أطلق الذئب عوائه وهو يحاول بكل شراسة إبعادهم من حوله، الا ان لدغاتها جعلته يطلق عوائه الاخير ويرقد جسده ساكنا بجوار جسد مجدي وقد فارقا الحياة..

تماسك مراد بسرعة ورفع عينيه إلى نادين التي كانت تنظر خلفها وعينيها جامدتان من هول المشهد فهتف بها بصيحة قوية:ـ تحركي بسرعة..

انتفض جسدها كله وقد عادت إلى تماسكها ودفعت بجسدها بصعوبة إلى الخارج وما ان خرجت حتى أطلت بوجهها من النافذة هاتفة:ـ سأحاول ايجاد شيئًا يساعدك على الصعود..

أومأ برأسه فى صمت وعاد ينظر إلى جسدي مجدي والذئب وقد جحظت أعينهما من هول الرعب والألم.. وبعد لحظات سمع نادين تهتف:ـ لقد وجدت هذا..

عادت تطل بوجهها وهي تدفع بسرعة بطرف خرطوم مياه يستخدم لري الحديقة حتى وصل طرفه إلى مراد الذي امسك به بقبضتيه ودفع بجسده ليصعد و..... تجمد مكانه وهو يحدق في شئ ما أطل برأسه خلف نادين التى شعرت ببرودة شديدة أصابت جسدها كله بالشلل في الوقت الذى أحست فيه بأن كيانًا هلاميًا يمر بجانبها، فغمغمت تقول لمراد بصوت متوتر:ـ انت ترى شيئًا ما بجانبي.. أليس كذلك؟

هز مراد رأسه في صمت فشحب وجهها وتبادلت معه النظرات مضطربة وهو لا يدري ماذا يقول لها بعد أن تبين أن الذي ظهر بجانبها....شبح....

شبح مخيف جاحظ العينين بصورة مرعبة يحدق ببرود وهدوء مخيف نحو مراد الذي شعر بأن الدقائق القليلة القادمة ستكون مذهلة للغاية.. وكان على حق..

◘◘◘◘

(٦) مطلوب دليل:

نظر مراد إلى نادين قائلاً بلهجة آمرة وهو يضغط علي حروف كلماته:ـ لا تتحركي مهما حدث..

أومأت برأسها في صمت وحاولت أن تتماسك وتسيطر علي أعماقها المرتجفة في حين كان مراد والشبح يتبادلان نظرات صامتة وما هي إلا لحظات حتى وجده يعبر النافذة ببطء شديد إلى داخل القبو وبدا وكأنه يزحف بظهره ملتصقا بالسقف و.... واتسعت عينا مراد عندما رأي بطنه الممزق الذي تتدلي منه أحشاؤه في مشهد مقزز رهيب.. وبنفس الحركة البطيئة تحركت يد الشبح لترسم علي سقف القبو شكل دائرة ثم تتجه يده إلى قلبه ويغوص بأصابعه داخل صدره و.... وينتزع قلبه... وسط نظرات مخيفة ثابتة باتجاه مراد الذي ولوهلة خيل إليه أن القلب مازال ينبض بين أصابع الشبح الذي ابتسم.. ابتسامة عجيبة.. ثم اختفي.. فجأة..

وبمجرد اختفائه شعرت نادين بالبرودة تذهب عنها فهتفت بمراد بلهفة:ـ بالله عليك.. هيا بسرعة لنخرج من هنا..

مد يده وأمسك بالخرطوم ودفع بنفسه إلى أعلى بقوة إلا انه تراجع بسرعة وسط دهشة نادين التى صاحت:ـ ماذا بك أيها المقدم؟

لم يرد عليها وشاهدته يعود ويتحرك ببطء وحذر وسط الثعابين، وفي لمح البرق انحنى بأعصاب فولاذية والتقط مسدس مجدي

من بينهم، ووسط ذهول نادين اتجه ناحية الشعلة الوحيدة المضاءة والتقطها ثم عاد إلى باب القبو.. وما إن قفز ليقف على عتبته حتى التفت إليها قائلاً بحزم:- سأعود اليكِ..

سألته في تعجب:- إلى أين تذهب؟؟

ومرة أخرى لم يجيبها وهو يتجه عائدًا صاعدا درجات السلم بقفزات سريعة حتى وصل إلى الممر.. كان واثقًا أن ظهور الشبح بهذا الشكل يعني أنه يريد إبلاغه برسالة ما.. أخذ يسير بحرص وحذر شديدين داخل الممر وفي يده المشعل حتى قطب حاجبيه وهو ينظر إلى أحد الأبواب المغلقة وعلي واجهته الخشبية رسمًا لشكل دائرة فغمغم:- ها قد وصلنا.. ترى ماذا يوجد في هذه الغرفة بالذات؟

امتدت يده ليفتح الباب إلا أن الغرفة كانت مغلقة بإحكام، فتراجع إلى الوراء قليلا وصوب المسدس إلى رتاجه وأطلق رصاصة واحدة حطمته بدوى هائل، وفي سرعة وشجاعة حازمة وبدون لحظة تردد رفع إحدى قدميه ودفعها ناحية الباب لينفتح في عنف ويدخل هو مقتحمًا الغرفة.. و.... اتسعت عيناه في دهشة واشمئزاز.. فقد كان المكان غارقة في الدماء والأشلاء البشرية التي تعلوها الديدان والحشرات ناهيك عن الرائحة القذرة الرهيبة و... وعلى أضواء شعلته المتراقصة وجد جثة مسجاة على الأرض بأحد الأركان.. ذهب إليها يتفحصها.. كانت غارقة وسط بركة كبيرة من الدماء.. مليئة بالخدوش والجروح العميقة والتي من الواضح أنها ناتجة عن مخالب حيوان متوحش رجح أن يكون هو نفسه ذلك الذئب الذى واجهه.. قطب حاجبيه بشدة..

ملامح الجثة تشبه كثيرا ذلك الشبح الذي ظهر في القبو.. قام باستعدالها لترقد على ظهرها وأدار رأسه قليلا من بشاعة المشهد وهو يرى أحشائها وخاصة الأمعاء بالكيس الدهني الشفاف الذي يحيط بها وقد أصبحت خارج الجسد تماما.. و... تذكر لحظة الشبح عندما أمسك بالقلب النابض بين يديه.. فوضع أصابعه بصورة دقيقة على عنق الجسد وبعد لحظات اتسعت عيناه فى دهشة.... شهق من المفاجأة المثيرة هاتفًا:

- يا إلهي.. سبحانك.. إنه حي... نبضه ضعيف جدا، ولكنه حي.

اندفع خارج الغرفة عائدا إلى القبو، وما إن رأته نادين التي كان يبدو عليها القلق الشديد حتى صاحت:- حمدا لله انك بخير لقد تجمدت الدماء في عروقي عندما سمعت صوت الرصاص و......

قاطعه هاتفًا في انفعال:- اذهبي بعيدا إلى أن تحصلي على تغطية لهاتفك واتصلي بالمدير.. أريد فريقًا كاملاً من رجال الأمن والمعمل الجنائي وكذلك سيارة إسعاف مجهزة.. فلدى ضحية مازالت على قيد الحياة تحتاج إلى نقل دم وجراحة عاجلة.. وفي سرعة تركته نادين لتنفيذ ما آمر به بينما نظر هو إلى جثتي مجدي والذئب مغمغمًا بصوت خافت جدًا:- يا ترى ماذا تخبئ لنا هذه القضية العجيبة؟

ولم يكن يدري أنه مازال هناك الكثير.. الكثير جدا..

◘◘◘◘

وقف مراد مستندًا على مقدمة سيارته، ويراقب بعينيه فريق رجال الأمن والمعمل الجنائي وهم يقومون بعملهم ويمشطون المكان كله ويدخلون ويخرجون عبر فجوة ضخمة في واجهة

المنزل صنعها لودر عملاق.. فى الوقت الذي اقتربت منه نادين ومعها اللواء مدير قسم قضايا فوق العادة وما إن وصلا إليه حتى قالت الاولى:ـ هل تذكر يا سيادة المقدم عندما وصفت شعورك بأنك داخل مقبرة جماعية.. إنها مقبرة بالفعل فقد وجدنا تحديدا احدي عشر جثة جاري الاستعلام عنهم.. وفاتهم حدثت في أوقات متباعدة ولكن من الواضح أن بعضهم تعرض لأبشع أنواع التعذيب..

صاح المدير وأقصى علامات الدهشة ترتسم على وجهه:

ـ ما وجدناه بالداخل لشئ رهيب لا يصدقه عقل.. أفخاخ دموية.. أدوات تعذيب.. جثث تم التمثيل بها وطمس معالمها.. ولكن الأغرب والأعجب ذلك الرجل الذي وجدته حيا رغم إصاباته البالغة وبطنه الممزقة والدماء الكثيرة التي فقدها على مدار يومان..إنها لمعجزة أن يبقي حيا..

غمغم مراد:ـ لكل أجل كتاب.. (ثم استطرد متسائلاً).. هل وجدتم شيئًا آخر؟

أجابه المدير:ـ نعم حجرة سرية بها شاشات مراقبة تتصل بكاميرات مراقبة تم إخفاءها بمهارة شديدة على كافة الأنحاء.. بالإضافة إلى مجموعة من الاسطوانات المدمجة مسجل عليها كل عمليات القتل التي شهدها هذا المنزل الملعون..

قال مراد في حنق بالغ:ـ إذن نحن أمام شخصية سادية تعشق تعذيب الآخرين وتستمتع بمشاهد قتلهم.. (ثم صاح متسائلاً).. ولكن من هو؟

اجابت نادين في سرعة وهى تنقل بصرها بين مراد والمدير:

ـ للأسف الوحيد الذي كان من المفترض أن يجيب علينا لقي حتفه بصورة بشعة..

فقال المدير باهتمام شديد:ـ أثناء انشغالك بفحص الجثث حصلنا على بعض المعلومات بخصوصه بناءًا على بطاقته الشخصية التى يحملها.. فهو يدعى مجدي عبد الكريم.. خريج كلية التجارة.. تحرياتنا السريعة أكدت أنه من أسرة متوسطة الحال تعيش داخل قرية صغيرة بمحافظة الشرقية.. أعزب ولديه مكتب صغير لتأجير السيارات.. والمفاجأة.. أنه يمتلك هذا المنزل..

هتفت في تعجب:ـ أسرة متوسطة؟... ولكن تجهيز هذا المنزل بهذا الشكل يحتاج إلى إمكانيات ضخمة..

قال مراد مضيفًا:ـ مثل التي يملكها رمزي.. (ثم صاح فجأة مستطردا لمديره).. مجدي.. أليس من المفترض أنه هو...

قاطعه المدير قائلاً بلهجة حملت بعض الضيق:ـ نعم.. أخر التقارير لدينا كانت تؤكد أن رمزي زار مجدي في شقته.. ومازالت سيارته هناك.. ولكن يبدو أنهما خدعا رجالنا واستطاعا أن يهربا من المراقبة..

غمغم مراد وهو ينظر إلى المنزل:ـ إذن من الواضح أن الاثنين كانا هنا..

صاحت نادين متسائلة:ـ ولكن أين رمزي؟..

هز مراد رأسه وهو يخرج هاتفه من جيبه قائلاً في بساطة:

ـ لماذا لا نسأله؟؟

وهنا هتفت نادين قائلة بابتسامة صغير ذات مغزى:ـ لحظة واحدة أيها المقدم.. أعتقد ان لدي فكرة أفضل..

ثم تركتهما واتجهت بسرعة عائدة إلى المنزل في حين تبادل مراد والمدير نظرات متسائلة حائرة وما هي إلا لحظات حتى وجدوها عائدة وهي تحمل في يدها هاتف خلوي وما أن اقتربت منهما حتى مدت يدها تناوله لمراد قائلة:ـ اعتقد انه يمكنك إجراء اتصالك من هذا الهاتف.. انه خاص بمجدي.. وستجد أن آخر رقم استقبله كان رقم رمزي..

ابتسم المدير في إعجاب قائلاً:ـ فكرة مثيرة بالفعل أيتها الملازم..

على حين قال مراد:ـ أنتي تحرزين تقدما كبيرا في أدائك..

أشرقت وجهها بابتسامة رائعة وهي تهتف:ـ هذه بمثابة شهادة تقدير اعتز بها سيادة المقدم..

وهنا هتف المدير وهو يشير بيده:ـ لحظة أيها المقدم سأجرى اتصالا سريعا وبعدها قم باجراء اتصالك.. (تناول هاتفه وهو يلمس شاشته ووضعه على اذنه وما ان سمع صوت الطرف الثاني حتى صاح بلهجة عسكرية آمرة).. لدي هنا هاتف سأجرى منه اتصالا بعد دقيقة واحدة.. اريد تسجيل المكالمة وتحديد مكان الطرف الثاني منها.. حسنًا.. سأرسل رقم الهاتف فى رسالة اليك..

انهى الاتصال وبعد ان قام بإرسال رقم هاتف مجدي أشار لمراد بأن يبدأ.. في سرعة ضغط مراد أزرار هاتف مجدي ووضعه بجوار أذنه وبعد لحظة واحدة وجد رمزي يرد قائلاً في صرامة:

ـ هل انتهيت منهما؟؟

أجابه بلهجة لاذعة:ـ للأسف.. لا يا أستاذ رمزي..

انتفض رمزي في مكانه مقطبًا حاجبيه وهو يسأل بصرامة:

ـ ماذا.. من المتحدث؟

ـ انه أنا..

استطاع تمييز صوت مراد، فشحب وجهه وهو يهتف:

ـ الضابط... كيف أمكنك التحدث من هاتف مجدي؟

ـ قبل أن تسال أريد أن اعرف ماذا تقصد بسؤالك الأول؟

استطاع أن يتماسك وهو يرد بثبات:ـ كنت اقصد سيارتين أيها المقدم... إجراءات تخص سيارتين جديدتين..

كرر مراد بنفس اللهجة اللاذعة:ـ سيارتان؟!

ـ نعم.. فبالإضافة إلى أن لديه مكتب لإيجار السيارات كما تعلم بالتأكيد، فهو يعمل في تخليص أوراق السيارات نظير مقابل مادي..

سأله بلهجة باردة قاسية:ـ وكم دفعت له مقابل التخلص منا في المنزل رقم ٣١؟

صمت لحظة ثم بذل مجهودا كبيرا حتى يخرج صوت متسائلاً في هدوء:ـ عن ماذا تتكلم أيها الضابط؟

ـ عن منزلك..

ـ ليس لدي منزل يحمل هذا الرقم..

ـ بالفعل ليس لديك ذلك.. لأنه ملك لمجدي..

ـ وما علاقتي أنا بكل ما تقوله وما تريد أن تقوله؟..

قال بصرامة:ـ ستعلم فيما بعد يا رمزي.. وبالمناسبة أين أنت الآن؟

أجابه :ـ داخل الميناء فقد كان لدي موعد هام..

قال مراد بحزم:ـ حسنا أريد أن أبلغك بأمرين هامين.. الأول أن مجدي مع الأسف لم ولن يستطيع التعامل معك أو مع أي شخص أخر في هذا العالم بعد أن لقي مصرعه، وبالتالي حصل علي وظيفة محترمة في أعماق الجحيم..

تساءل في برود:ـ والأمر الثاني؟..

أجابه ببرود مماثل:ـ يخصك أنت يا رمزي.. فالدائرة تضيق من حولك.. وقريبا بإذن الله ستسقط في يد العدالة..

ثم أنهى الاتصال على حين احتقن وجه رمزي في غيظ شديد وهو ييقول بشراسة:ـ حسنًا ايها الضابط.. اقسم بأن أجعل الدائرة تضيق من حولك أنت.. وقريبًا سيقرأ أصدقاؤك نعيك في الجرائد..

◘◘◘◘

بعد مرور ساعة تقريبًا، خرج مراد من احد المحال الشهيرة والمتخصصة في بيع الملابس الرجالية وذهب مباشرة إلى سيارته حيث كانت تنتظره نادين بداخلها، وما إن جلس بجوارها حتى هتفت وهي تتأمله:ـ ذوقك راقي في اختيارك لملابسك يا سيادة المقدم..

رد في اقتضاب:ـ أشكرك... (ثم استطرد).. كان لابد من تغيير ملابسي.. فلم يكن من المقبول أن أقابل أرملة توفيق ورائحة الكيروسين تفوح مني..

وهنا تصاعد صوت هاتفه فنظر إلى الرقم المميز الذى ظهر على الشاشة التي تتوسط تابلوه سيارته وتتصل بهاتفه عن طريق

البلوتوث ثم مد يده ليلمس مربعًا ذات لون أخضر متألق وهو يهتف:ـ مرحبا سيادة المدير.. هل حددت مكان المكالمة؟

جاءه صوت مديره وهو يقول:ـ نعم يا مراد.. هو لم يكذب.. الإحداثيات تؤكد انه كان بالفعل يتكلم معك من داخل الميناء..

ـ وماذا عن الرجل الذي وجدناه حيا؟

ـ الأطباء يقولون انه يحتاج لفترة طويلة حتي يملك القدرة علي التحدث إلينا..

وهنا تدخلت نادين قائلة:ـ من الأفضل ألا يعلم رمزي بأمره..

رد المدير عليها:ـ بكل تأكيد.. ولكن هل تعلم يا مراد انه وحتى الآن لا يوجد دليل واحد قوي ضده..

صاح مراد في حزم شديد:ـ سنحصل علي الدليل بإذن الله.. فما من جريمة كاملة.. (ثم هتف وهو يتحرك بسيارته).. هل هناك تحريات تخص أرملة توفيق؟

أجابه المدير:ـ نعم.. سأرسل إليك أنت ونادين عبر هواتفكما تقريرا ملخصا يتضمن التحريات التي جمعها رجال المباحث حولها..

فقال مراد وهو ينهي الاتصال:ـ ونحن في الانتظار..

وانطلق بسيارته إلى هناك.. وعقله لا يكف في البحث عن طريقة للحصول على دليل ضد رمزي.. دليل قوي..

◎◎◎◎

(٧) رسالة من ميت:

قطبت نادين حاجبيها وهي تقرأ التقرير عبر شاشة هاتفها صائحة:ـ ماذا؟.. زوجة توفيق الأولي وجدت مقتولة داخل منزلهما.. وتم القبض على القاتل الذي هرب بعد ذلك واختفى..

تابع مراد وعلى وجهه علامات التفكير:ـ جريمة قتل بهدف السرقة.. والتي سنقابلها الآن هي أمال الدسوقي شقيقة القتيلة و زوجته الحالية..

سألته هي قائلة:ـ هل تفكر في شئ ما؟..

انحني إلى الأمام ليتأمل تلك الفيلا الأنيقة التي تسكن فيها أمال والتي يظهر جزء منها عبر سورها العالي وهو يقول:ـ دعينا أولا نقابلها ونسمعها..

ـ لكنها فقدت زوجها منذ ساعات وبالتأكيد حالتها لن تسمح بالتحقيق معها.. فكيف تتوقع بأنها ستقابلنا الآن؟

ـ المدير ابلغني بأنها ترفض بالفعل مقابلة أي شخص في الوقت الحالي، ولكن علينا أن نحاول.. فمن الممكن الحصول منها على معلومة قد تفيدنا..

ومع آخر حروف عبارته فتح باب سيارته وهبط منها وكذلك فعلت نادين واتجها معا إلى الفيلا.. وبخطوات سريعة عبرا بوابتها الحديدية وسارا معا وسط حديقة واسعة تزدهر فيها الأزهار والأشجار المصفوفة بتنسيق جميل و..... توقفا فجأة عندما ارتفع من خلفهما صوت غاضب يهتف:ـ من أنتما؟

التفتا ناحية الصوت لتصطدما أعينهما برجل ضخم الجثة غليظ الملامح.. عريض المنكبين بشكل عجيب عضلاته بارزة من خلف ملابسه ووجهه ينطق بالشراسة.. وقد بدا في هيئته كحارس خاص.. وبخشونة وثورة صاح بهما وهو يتجه اليهما:

ـ كيف جرؤتما علي دخول الفيلا لمجرد أن وجدتما البوابة مفتوحة؟..

سأله مراد في هدوء حازم:ـ أنت الحارس.. أليس كذلك؟

اشتعل وجه الضخم عندما تجاهل مراد سؤاله وقال وهو يضغط علي اسنانه في شراسة وبلهجة تهديد:ـ اجب علي سؤالي..

هتفت نادين في غضب:ـ كيف تجرؤ أنت علي مخاطبتنا بهذا الشكل..

التفت اليها الضخم وبصوت اجش غليظ قال لها:ـ ابتلعي لسانك ايتها الفتاة... فانا لا احب التحدث مع الفتيات، ونصيحتي لك أن تلقي نظرة اخيرة علي وجه رجلك هذا لانني سأحطمه ان لم يجب علي سؤالي..

احتقن وجهها بشدة وهمت بالرد عليه إلا أن مراد قال بلهجة لاذعة:ـ قل لي ايها الحارس أتقابل كل ضيوف هذا المكان بأسلوبك هذا؟..

اتسعت عينا الضخم في غضب هائل عندما وجد ان تهديده لم يبال به مراد، فرد في شراسة واستفزاز وهو يضم قبضته ويرفعها امام وجه مراد:ـ وماذا في أسلوبي؟..

تجمد وجه مراد فجأة وتحولت سخريته إلى صرامة مخيفة وهو يقول في برود مستفز مقتضب:ـ وقح..

اتسعت عينا الضخم اكثر وهو يحدق بغضب رهيب في عينا مراد الذي نظر إليه بدوره بثبات وجمود جعلت الغيظ يشتعل في عروق الضخم الذي انتفخت عضلاته وأعاد قبضته إلى الوراء ثم دفعها بسرعة هائلة تجاه وجه مراد الذي تفادي اللكمة بمهارة وسرعة ثم دار حول نفسه ودفع بحافة يده لترتطم بظهر الضخم بضربة قوية دفعته إلى الأمام بعدة خطوات.. ورغم عنف الضربة إلا أن الضخم بدا صلبًا وهو يستدير مزمجرا في شراسة غاضبة و....

وهنا هتف مراد قائلا لنادين في سرعة حازمة آمرة:ـ لديك اختبار عملي.. أريني كيف يمكنك صد هجوم مثل هذا الثور الهارب من سلخانة المدينة في أقل من ٣٠ ثانية؟

للحظة ارتبكت نادين للأمر الذى أصدره لها ولكنها تماسكت بسرعة واتخذت وضعية القتال وهي تتذكر كل ما تعلمته إلا أن الضخم قال لمراد بصوته الاجش القبيح وبلهجة مستفزة:

ـ يبدو أنك من هواة الثرثرة فقط.. ولا تملك الشجاعة الكافية للقتال وتترك مثل هذه الفتاة لتواجهني بدلا منك..

رمقه مراد بنظرة تحدى نارية ثم التفت لنادين قائلاً فى هدوء:

ـ حسنًا.. لنؤجل الاختبار إلى وقت لاحق..

وفجأة وأمام أعين نادين إندفع مراد ناحية الضخم.. كان يدرك تمامًا أن القتال معه بالأساليب القتالية المعتادة سيأخذ وقتًا طويلاً بل ولن تجدي معه خاصة أن خصمه يملك جسدًا قويًا صلبًا وبالتالى يحتاج الأمر إلى ضربات قوية مركزة فى أضعف نقاط الجسم.. وحاول الضخم أن يستقبل مراد بلكمة قوية من

قبضته الا ان الاخير تفاداها بمهارة كبيرة ودار حول خصمه ليصبح وراءه ثم قفز في الهواء وهبط وهو يدفع بقدميه وبقوة رهيبة لترتطما بالجزء الخلفي من ركبتي الضخم الذى تأوه بشدة وهو يجد نفسه يهبط على ركبتيه بصورة لاإرادية..وبكل قوته وحزمه عاد مراد ليهوي بحافة يديه على جانبي عنق الضخم في ضربة مزدوجة قوية رهيبة اتسعت لها عينا الضخم في ألم شديد وجعلته يسقط أرضًا وهو يئن ويتلوى من الآلام الموجعة التي اصابت ركبتيه وعنقه وأخذ يسعل بقوة بعد أن وجد صعوبة فى استنشاق الهواء، ومع ذلك التفت إلى مراد قائلاً له وسط سعاله ولهاثه:ـ لن.. لن تفلت بهذه البساطة.. فسأحطمك أيها....

بتر عبارته عندما مال مراد ناحيته بسرعة وأمسك بقبضته ذقن الضخم ورفع وجهه بعنف قائلاً له بصرامة قاسية وهو ينظر إلى عينيه مباشرة:ـ فلتحمد الله لوقتي المحدود الذي لا يسمح للعب معك.. لأنه لو حدث لجعلتك فعليًا تبتلع لسانك القذر في أقل من ١٠ ثوان بالإضافة إلى تمضية بقية عمرك على مقعد متحرك..

ثم أفلت يده بينما صاحت به نادين في شماتة لاذعة:ـ كان عليك أن تتعلم آداب الضيافة أولاً قبل أن تكون حارسًا..

وهنا سمعا صوت انثوي غاضب يهتف:ـ ماذا فعلتما بحارس بيتي؟؟

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت ليجدا سيدة تقف داخل احدى شرفات الطابق العلوي من الفيلا وقبل أن يجيب مراد بادرته بسؤال آخر قائلة:ـ من انتما؟؟ وماذا تريدان؟؟

ابتسم مراد ابتسامة صغيرة وهو يخرج من سترته بطاقته ويرفعها إلى أعلى قائلاً بصوتٍ عالٍ قوي:ـ المقدم مراد عبد الحميد والملازم نادين سليمان من قسم قضايا فوق العادة بإدارة المباحث العامة.. هناك أمور هامة جدا يجب أن نتكلم عنها الأن يا سيدة أمال..

صمتت أمال للحظات ثم هزت رأسها وأشارت لهما بالدخول.. فتحرك مراد وبجواره نادين وأسرعا الخطى تجاه مدخل الفيلا الرئيسي وفي أثناء ذلك لمح سيارة حمراء فاخرة تقف داخل جراج خاص تحيط به النباتات المتسلقة من كل جانب..

◘◘◘◘

ـ أعتذر على ما حدث لحارس بيتك.. ولكنه اضطرنا لذلك..

قالها مراد وهو يجلس وبجواره نادين داخل الردهة الرئيسية للفيلا والتى ينطق أثاثها بالفخامة والذوق الرفيع، في حين جلست أمال أمامهما وهي تقول بشئ من العتاب:ـ أعتقد أن كلمة حارس لم تعد تلائمه بعد الأن..

قالت نادين بصوت حازم:ـ انه يستحق يا سيدتي.. فلقد كان أسلوبه في غاية من الاستفزاز..

صاحت هي:ـ انا من طلبت منه أن يتعامل مع الجميع بهذا الاسلوب..

سألها مراد بإقتضاب صارم:ـ لماذا؟

ـ لأنني لا أريد أن أتحدث مع أحد.. ولن أتقبل أي عزاء الا بعد أن أنتقم ممن قتل زوجي..

تبادل مراد ونادين نظرات ذات مغزى ثم قال الاول:ـ في البداية أحب أن اتقدم بتعازينا الشديد بخصوص أختك ثم زوجك..

قالت امال بحزن شديد:ـ للأسف الأولى راحت ضحية سرقة خسيسة من مجرم وضيع والثاني راح ضحية صديق خائن.. (ثم أضافت فى صلابة)..لذلك لا مفر من الانتقام..

عاد مراد ونادين يتبادلان النظرات ثم قالت الثانية:ـ الانتقام يعني مساعدتنا في القبض عليه لتقديمه للعدالة حتى ينال عقابه..

وتدخل مراد وهو يضيف:ـ وكلماتك هذه تعني أنك تعرفين من قتله، وهذا يجعلني أسألك مباشرة.. من هو؟

وهنا هتفت امال بسرعة وبدون تردد:ـ بالطبع رمزي... رمزي صديقه وشريكه..

تبادل الجميع نظرات صامته ثم سألتها نادين بعدها:ـ ولماذا بالطبع؟ أقصد ما سبب تأكدك؟..

مدت أمال يدها أمامها وأخذت ورقة كانت موجودة فوق سطح منضدة صغيرة أنيقة تفصل بينهما وناولتها لمراد قائلة في اقتضاب:ـ هذه الورقة..

تناول مراد الورقة وفضها في حين تابعت هي:ـ في الواقع هي رسالة من زوجي.. من الواضح أنه كتبها قبل وفاته بقليل ووضعها داخل خزانته الخاصة مع وصيته في ظرف كبير أوصى بألا يتم فتحه إلا بعد مماته..

كان مراد ينظر إليها في صمت ولم يلقِ نظرة على الرسالة بعد، في حين اقتربت منه نادين ومدت عنقها لتري فحواها فى الوقت

الذي فرت فيه دمعة من عينا أمال وهي تستطرد قائلة لهما في حزن شديد:ـ وكأنه يعلم قرب أجله..

تنهد مراد قائلاً بصوت خافت:ـ تعازينا الشديد يا سيدتي..

وفجأة اندفعت أمال في البكاء وأخفت وجهها وهي تصيح:ـ كيف؟.. كيف يقتله صديقه وشريك عمره وعمله بهذه البشاعة؟

ثم أخذت تجهش بالبكاء وظهر التأثر الشديد على وجه نادين ورمقها مراد بوجه جامد خال من أى انفعال.. وفي آن واحد نظر هو ونادين إلى سطور الورقة.. و.... وبعد لحظات من القراءة تلاقت أعينهما في دهشة كبيرة بينما تمتم مراد:ـ طاقة كي..

أومأت أمال رأسها بالإيجاب وهي تجفف دموعها وتحاول التماسك قائلة:ـ نعم.. طاقة كي... إنها تفسر كل القضية..

عادا الاثنان يلتفتان إلى الورقة وارتفع صوت مراد وهو يقرأ ما كتبه توفيق:

(في أعماق كلاً منا طاقة هائلة لم نستغلها بعد.. اسمها طاقة كي.. قد يمر العمر كله بدون أن نكتشفها ونكتشف قدراتها في تشكيل حياتنا والعلاج من بعض الأمراض.. ورغم كل هذا التقدم العلمي الذي نعيشه اليوم إلا أنه لم يفلح بعد في استخراجها.. تذكرين طبعًا يا عزيزتي أن والدي كان يعمل في مكتب سفارتنا باليابان كما تعلمين أيضًا أنني قضيت نصف عمري هناك، وفي بدايتي هناك ارسلت إلى رمزي صديقي الذى حضر بالفعل وعملنا معًا في التجارة وبصعوبة شديدة تعلمنا لغتهم وسمعنا عن هذه الطاقة الهائلة وقررنا ومع ثورة حماس الشباب أن نتعلمها ونتعلم كيفية استخراجها من أجسادنا.. ان كلمة السر

لهذه الطاقة هي وحدة الروح والجسد لتمكين الانسان من استغلال امكاناته الحقيقية.. كانت هذه الطاقة تتولد من خلال فنون القتال، ولكن اكتشف أحد اليابانيين - وهو الذي أقنعناه بصعوبة بالغة بأن يتولى تدريبنا، فقد كان تعليمها مقتصرا فقط على أبناء شعبهم- أنه يمكن أن تتولد عن طريق طقوس معينة تشبه اليوجا.. شيئًا فشيئًا وبالصبر وطول البال استطعنا أن نخرجها عندما نطلبها.. وقتها شعرنا وكأننا اصبحنا ننتمي إلى عالم آخر.. عالم قوي.. يفوق في قوته إدراك أى شخص أخر.. فبهذه الطاقة نستطيع أن نتعامل مع أى فرد عن بُعد.. نشل حركته أو نضربه أو حتى نقتله دون أن نقترب منه.. بل أكتشفنا أننا نستطيع بكثير من التركيز أن نحمل أوزانًا تصل إلى أضعاف أضعاف أوزاننا بمجرد النظر إليها ودون أن نقترب منها...)

توقف مراد عن القراءة ورفع عينيه لينظر بعيدًا.. عقله كان يرسم تصورًا تخيليًا لتنفيذ الجريمة على ضوء ما قرأه في تلك الرسالة العجيبة.. قرر رمزي التخلص من توفيق الذي خرج غاضبًا من مكتبه ومن المعرض كله.. استخدم الأول طاقة كي ليدفع بالسيارة ناحية الثاني الذي فاجئه الأمر ويبدو أنه تعثر وسقط أرضًا، في حين وبتركيز طاقة كي رفع رمزي السيارة ثم تركها تهوي بكل ثقلها على جسد توفيق فتحطم صدره وتوفي.. بعد فترة يظهر رجل الأمن.. بالتأكيد كان رمزي يحتاج لبعض الوقت حتى يستطيع التلاعب في منظومة المراقبة لذلك أطلق طاقته تجاه الضابط فتسببت في رفع ضغط دمه إلى درجة تفجرت معها خلايا مخه و... ولكن.. هناك أمر آخر..

نقطة هامة جدًا فى الموضوع.. وهي.......

انقطع حبل تفكيره عندما قالت أمال له:ـ الأمر غريب حقًا.. أليس كذلك؟

فقالت نادين في تعجب:ـ لولا ما رأيناه في وقائع هذه الجريمة وما واجهناه منذ قليل، ما كنت لأصدق هذا أبدا.. (ثم التفتت إلى مراد متابعة).. وأعتقد أن ما جاء في هذه الرسالة يفسر كل شيء بالفعل.. طريقة تنفيذ الجريمة.. وواقعة المسدسين اللذان انفلتا من بين أصابعنا رغمًا عنا داخل ذلك المنزل الرهيب..أليس كذلك أيها المقدم؟

نظر مراد إلى أمال صامتًا ثم التفت لنادين مغمغمًا في خفوت:

ـ بلى..

عادت عيناه إلى سطور الرسالة وتابع القراءة:

(ليس هذا فقط ولكننا درسنا أيضًا التنويم المغناطيسي.. ليست دراسة متعمقة ولكن تعلمنا بعضًا منها.. عدنا إلى الاسكندرية، وفي البداية اتفقنا على أن كل ما تعلمناه يبقى سرًا بيننا وأن تكون قوتنا للخير فقط وفي إطار محدود جدًا، إذا ما تعرضنا للخطر.. ولكن رمزي أخل بالاتفاق وبدأ في استخدامها في أفعال غير مشروعة وإكتشفت ذلك، وللاسف أعترف بأنه استطاع أن يقنعني بمشاركته في بعض العمليات من تهريب الذهب والأموال داخل وخارج مصر عن طريق التأثير على رجال الميناء والجمارك، ولكنني لم أستطع الاستمرار فى ذلك الطريق خاصة عندما علمت أن بعضهم اكتشفوا بالصدفة تلك العمليات وبدءوا فى ابتزازه أو تهديده.. ثم تعجبت من إختفائهم فجأة ومحاولات

الشرطة للبحث عنهم دون جدوى.. واجهته بذلك فذكر أنه يقوم بالتخلص منهم بطريقته الخاصة وبصورة لن يكشفها أحد.. وقتها علمت أيضًا أن عملياته المشبوهة أصبحت تضم المشاركة فى تهريب المخدرات لحساب كبار التجار عن طريق الحصول على نسبة مقابل تمريرها داخل السيارات التى يقوم باستيرادها من الخارج.. ولقد ضقت من أفعاله هذه وابتعدت عنه وعن عملياته وأنذرته أكثر من مرة بالتوقف عن ذلك، وهددته بفضحه وافشاء السر الخطير. لقد استخدم الجانب المظلم من الطاقة بصورة أعمت عقله وقلبه، فتصور أنه يستطيع أن يسحق كل من يقف في طريقه.. وتحول القتل عنده إلى متعة خاصة وحل سريع لكل من يتجرأ لمواجهته.. لذلك أشعر أنه إن آجلا أو عاجلاً سيقوم بقتلي والتخلص مني.. بالتأكيد عقلك لن يصدق كل ما جاء في هذه السطور.. ولكنها الحقيقة.. كل الحقيقة..)

رفع مراد عينيه فى صمت إلى أمال التى قالت له:ـ أعتقد أن القضية أصبحت واضحة الأن، وفي يدك دليل إدانة قوي ضد رمزي.

تنهد مراد وهو يضع الرسالة على المنضدة قائلاً:ـ بالتأكيد تدينه، ولكنها ليست دليل قوي.. فهي أولاً وأخيرًا مجرد رسالة..

ـ ولكن معي أوراق ومستندات وجدتها داخل خزانة زوجي رحمه الله تثبت تورطه في تلك العمليات المشبوهة..

ـ وقتها سيحاكم بتهمة التهريب.. وليس القتل..

وهنا هتفت نادين قائلة له:ـ فى هذه الحالة يجب الحصول على اعتراف صريح منه..

نهض مراد من مكانه هاتفًا:ـ بالضبط.. (ثم صمت قليلاً مفكرًا، بعدها استطرد).. سنفعلها بالطريقة التقليدية بمشاركة السيدة أمال، مع تنفيذ خطة مبتكرة لمواجهة تلك الطاقة القاتلة التى يملكها رمزي..

نهضت أمال بدورها وهي تهتف بحزم:ـ وأنا على أتم استعداد لفعل أي شئ حتى يتم القبض عليه..

تأملها مراد في صمت لعدة ثواني ثم قال:ـ حسنًا.. استمعي إليّ جيدًا..

وأخذ يشرح خطته..

وبالرغم من أنها خطة المواجهة والنهاية.. إلا أن شيئًا ما غريب أخذ ينمو في أعماقه.. شعور غامض.. محير.. ينبئه بأن الإيقاع برمزي وطاقته القاتلة لا يعني أنها النهاية.. أبدا..

◘◘◘◘

(٨) طاقة (كي):

جلس رمزي في مكتبه متوترا قائلاً وهو يزفر بضيق وسخط:
- لابد من التخلص من هذا الضابط اللعين بأسرع وقت ممكن...
ثم اعتدل ليداعب أزرار كمبيوتر محمول موضوع أمامه، إلا أنه توقف فجأة عندما رن هاتفه فنظر إلى شاشته بسرعة ثم وضعه بجوار أذنه وهو يقول بحزن مزيف:- مرحبا بالسيدة أمال.. تعازي الشديد لوفاة توفيق.. أغلى وأعز صديق.. إنني لا اصدق حتي الآن أنه فارق الحياة و....
قاطعته قائلة بلهجة ساخرة أدهشته:- لا داعي لهذه العبارات الزائفة.. إنها لا تليق بقاتل مثلك..
ارتبك لحظة وهو يقول بصوت حاول أن يكون متماسكا:- ماذا.. ماذا تقصدين؟
هتفت في حزم:- طاقة كي..
شحب وجه رمزي وعجز لسانه عن النطق.. لقد كان هذا بمثابة سر العمر بينه وبين توفيق، ورغم أنه تخلص منه ومن إزعاجه الدائم له وتهديداته، إلا أنه لم يكن في الحسبان أبدا أن تعلم زوجته..
كيف علمت؟ هل أخبرها توفيق؟ ومتى؟ إنه يعرف توفيق جيدًا.. لا يفشي سرًا ولا يخل بأي اتفاق.. ولكن المهم الآن هو كيف؟

والأهم هو خطوته القادمة لمواجهة هذه المشكلة الكبرى، فقال لها بلهجة باردة:ـ عن أي شئ تتكلمين يا سيدتي؟

ـ لا تواصل ألاعيبك هذه.. إن معي أوراق تثبت إدانتك وتورطك في تهريب الأموال والذهب والمخدرات.. إنها كافية لسجنك مدي الحياة.. أما بالنسبة لجرائم القتل فـ.....

قاطعها في ثورة غاضبة:ـ هراء

عادت أمال تطلق ضحكتها الساخرة وهي تقول:ـ هل أزعجك معرفتي بحقيقتك الوضيعة؟ لقد علمت أن توفيق رحمه الله اشترك معك في بعض من عملياتك مع الأسف، وقد احتفظ بصور من أوراق تثبت انك المسئول الأول عنها.. وهذا ليس كل شئ.. (توقفت للحظات ظنا منها أنه سيقول شيئًا إلا أنه كان يستمع إليها بوجه جامد فتابعت).. معي رسالة بخط يده تشرح ما تعلمتماه في اليابان بجانب الدراسة.. وأعتقد أن حكاية طاقة كي هذه عندما تصل إلى الشرطة فسوف توضح من هو قاتل زوجي..

وهنا سألها فى اقتضاب:ـ ماذا تريدين؟

ـ يعجبني الكلام المباشر.. فما أريده هو اعتبار الأمر صفقة..

ـ كيف؟

ـ الأوراق مقابل......

ـ مقابل ماذا؟

ـ لا.. لا.. لن نتفق عبر الهاتف.. (وقبل أن يقول شئ استطردت هي).. ما رأيك في مقابلة صغيرة بشقتي في منطقة سموحة.. بالطبع تعرفها. أعتقد أنها مكان مناسب للاتفاق علي الصفقة..

ابتسم رمزي في شراسة قائلاً:- بالطبع.. بالطبع يا عزيزتي.
- حسنا.. سوف أقابلك هناك بعد ساعتين من الآن..
وبمجرد انتهاء المكالمة بينهما اتسعت ابتسامته الشرسة أكثر وأكثر وهو يقول:- بالطبع .. إنه مكان مناسب للحاق بزوجك..
ثم جمد وجهه فجأة واتسعت عيناه وهو ينظر بتركيز شديد إلى شاشة اللاب توب التي ظهر عليها بعض الشروخ ثم تطور الأمر إلى بعض الاضطرابات العنيفة في البرامج ورمزي يزيد من تركيزه و... وانفجر الجهاز بدوي كبير.. انفجر أمامه.. ولم تجرؤ شظية واحدة أن تصيب وجهه.. فأطلق ضحكة هستيرية شيطانية وهو يشعر في أعماقه بأنه الرجل القوي الذي لا يُقهر ولن يستطيع أحد ان يقف في طريقه والفضل لطاقة كي.. القاتلة..

◘◘◘◘

قالت نادين وهي تتابع مراد أثناء فحصه لبعض الأجهزة داخل شقة أمال:- سيادة المقدم إنها المرة الثالثة التي تقوم فيها بالمراجعة..
قال دون أن ينظر إليها:- لاحظي أننا لن نقابل شخصًا عاديًا، بل شيطان يعتمد علي طاقة رهيبة يستدعيها وقتما يريدها..
تأملته قليلاً ووجدت نفسها تتساءل في أعماقها عن سر تجهمه وعبوسه رغم أن القضية على مشارف نهايتها، إلا أنها تنهدت وهي تقول له:- أتعلم.. عندما قرأت معك رسالة توفيق وحكايته مع طاقة كي تذكرت أنني قرأت مقالاً في إحدى الصحف كان قد تكلم عن طاقة تدعى (الكونداليني) عند جماعة الهندوس وكيف

أن من يملكها يصنع المعجزات.. أعتقد أن طاقة كي هذه تشبه الكونداليني..

التفت إليها ثم أومأ برأسه وهو يهتف:ـ هذا صحيح..

تصورت للحظة بأنه سيكتفي بكلمته هذه إلا أنها وجدته يتابع فى جدية شديدة:ـ منذ سنوات عديدة ظهر اسم طاقة كي ولاقت اهتمامًا كبيرا من علماء الغرب، وأذهلتهم قدراتها لدرجة أنهم في ثمانينات القرن الماضي- وتحديدا عام ١٩٨٤ـ عقدوا اجتماعًا كبيرًا بجامعة "تسوكوبا" بطوكيو ضم الفلاسفة والأطباء وعلماء الأحياء والفيزياء وغيرهم من مختلف التخصصات تبادل فيه الجميع الآراء ووجهات النظر حول هذه الطاقة الحيوية* والتي يسميها اليابانيون (كي) ومقارنتها بطاقة (شي) لدى الصينيين و(الكونداليني) لدى الهندوس و(البركة) لدى العرب والصوفيين..

قطبت نادين حاجبيها وهي تكرر في دهشة:ـ البركة؟!..

أومأ مراد برأسه مرة أخرى وهو يضيف:ـ نعم.. البركة.. ألم نسمع من بعض الناس أو من الصحف ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية أن هناك مثلاً رجلاً يملك شفاء الناس من أخطر وأصعب الأمراض بمجرد اللمس على المنطقة المصابة.. أنهم يسمونه الرجل المبروك.. أو يقولون بين أحاديثهم هذا الرجل بركة، أو وجوده بركة، وغير ذلك.. لأنه يفعل أمور تعجز عقولهم عن فهمها فيصنفونها بطريقة لا إرادية على أنها خارقة للطبيعة.. ووقتها يضطر الرجل الذي يملك مثل هذه القدرات

---

*(حقيقة)

للصمت، لأنه لم يجد التعبير المناسب لوصف ما بداخله.. هو يشعر فقط بقدرته على فعل شئ ما يعجز الباقون عن فعله..

سألته فى تعجب:

ـ وهل تؤمن بهذا الكلام؟

قال بشيء من الغضب:ـ إنها ليس مجرد كلمات.. فكل ما ذكرته يدخل في نطاق علوم البارا سيكولوجي أو ما وراء الطبيعة التى تعتبر القاسم المشترك في قضايانا.. فهي ليست خرافات كما يتصور معظمنا.. وهناك مشاهير في هذا المجال مثل الروسية نينا كولاجينا.. وأيضا الراهب راسبوتين.. وكذلك داهش اللبناني.. والمكي الترابي المغربي والذى فاقت سمعته أوروبا كلها.. وفي بغداد الشيخ البصير.. وفي مصر الكثير من مشايخ الصوفية لديهم هذه القدرات المدهشة..

ـ لولا أنني شاهدت بنفسي ـ وعبر أحداث هذه القضية ـ جزء من هذه القدرات لما صدقت ما ذكرته لي الأن..

هتف بها:ـ بالضبط.. وتلك هي المعضلة.. فمن يقول خرافات هو في الحقيقة لم يواجه أو يقابل في حياته شيئًا خارقا للطبيعة.. أما من تعرض لها أو رأي موقفًا ما بعينيه فإنه على استعداد أن يصدق كل الحكايات العجيبة التي يسمعها، وبدون أدنى شك..

أومأت نادين برأسها وهي تقول:ـ بلى.. فأنا لم أكن أتوقع في يوم من الأيام أن أرى بعيني رجلاً يملك قدرات طاقة كي.. أو بمعنى أدق يملك الجانب المظلم منها.. جانب الشر..

تنهد مراد وهو يغمغم:ـ ويا له من شر..

لاحت ابتسامة صغيرة على وجه نادين وهي تستطرد:ـ وأعتقد أن فكرتك في مواجهة هذا الشر عبقرية تمامًا رغم بساطتها..

نظر مراد بعينيه بعيدًا وهو يقول في حزم:ـ كل قوة شريرة في هذا العالم لابد وأن يكون لها ثغرة.. ولو لم تكن هذه الثغرة موجودة لساد الشر العالم.. إنها حكمة من الخالق سبحانه وتعالى حتى يكون للخير وجود وسيادة..

تأملته بإعجاب في الوقت الذى انحسر فيه ضوء الشمس بصورة كبيرة فاستطرد قائلاً:ـ يبدو أن السحب عادت تتكاثر بشدة إلى الحد الذى جعل ضوء الشمس يقل بهذه الدرجة..

صاحت هي:ـ وهذا في صالحنا بكل تأكيد..

قال فى اقتضاب:ـ نعم..

وهنا قررت نادين أن تسأله عن سر عبوس وجهه، فهتفت:ـ عذرا يا سيادة المقدم.. لماذا أشعر بأنك متوتر وقلق بهذا الشكل الذي يظهر على وجهك؟

تجمدت ملامحه ونظر إليها طويلاً بعينين ثابتتين وبصورة أربكتها قليلاً ثم ثم قال في خفوت لا يخلو من الحزم:ـ لأن القضية كلها خاطئة.. بها خلل غير واضح.. ومليئة بالثغرات بشكل يجعلني أشك بأن هناك شئ ما.. أمر آخر خطير أكبر مما هو ظاهر أمامنا..

ظهرت الدهشة على ملامح نادين وهي تقول في تعجب:ـ معذرة يا سيدي، ولكني عاجزة عن فهم ما تقوله.. (ثم استطردت قائلة).. ألسنا على علم الآن بشخصية القاتل، وكيف نفذ جريمته، بل وها نحن على وشك القبض عليه..

صاح مراد:ـ حتى إذا وفقنا الله وتم القبض على رمزي وحصلنا منه على الاعتراف، تبقى بعض الأمور تجاه مواقف محددة واجهناها في القضية تجعلني غير قادر على تجاهلها..

هتفت متسائلة:ـ مثل ماذا؟

عاد مراد ينظر بعيدا وبدا وكأنه يحادث نفسه:ـ أولاً.. ما حدث للذئب وفقدانه للوعي بهذا الشكل يؤكد أن هناك شيئًا عجيبًا يدور حولنا لا أجد له تفسير حتى الآن. ثانيًا: عندما وصلت إلى فيلا أمال زوجة المجني عليه توفيق كنت أعتقد أنني سأبذل مجهودا كبيرا حتى تدلي بأقوالها، فالمفترض أنها حزينة بل ومصدومة نتيجة وفاة زوجها بهذا الشكل، ولكنني وجدت أمامي سيدة متماسكة بل وشعرت بأن حزنها ودموعها زائفين.. لقد كانت ترفض مقابلة أي شخص وفجأة عادت ووافقت. ثالثًا.. سلوكها في فتح الخزينة الخاصة بزوجها الراحل وإحصاء ما بداخلها واخراج المستندات وقراءتها وقراءة الوصية والتي من المفترض أن يحدث كل ذلك في وجود المحامي الخاص، بل في وجودنا نحن على اعتبار أنها جريمة قتل.. هذه التصرفات لا تتناسب مع زوجة فقدت زوجها منذ بضعة ساعات. رابعًا.. الورقة نفسها أو الرسالة التي تدين رمزي والتي كتبها توفيق كانت موضوعة على المنضدة وكأن الأمر قد جرى ترتيبه وتجهيزه بحيث يتم إعطاء هذه الورقة لنا كجهة تحقيق، حتى نكشف بها أبعاد القضية ونقبض على رمزي.. لقد شككت بأن الذي كتبها ليس توفيق وطلبت منها أمامك بعض الأوراق الخاصة به لمقارنة خطه بالخط المكتوب به الرسالة فوجدناها

صحيحة ومتطابقة مع أسلوب خطه الدقيق والمميز.. خامسًا.. إصرارها على أن تكون المقابلة والمواجهة في هذه الشقة وليس فى الفيلا مثلا كما اقترحت عليها ذلك، وقد بررت رفضها بأنها كيف تجعل رمزي قاتل زوجها يدخل بيته بعد أن أصبحت أرملة بسببه، وهو من وجهة نظري مبرر ضعيف..

عادت نادين تسأله وقد بدا عليها الفضول الشديد:- وماذا يعني كل هذا؟

سار بضع خطوات بعيدًا عنها وعلى وجهه علامات التفكير العميق ثم التفت اليها فجأة وقال بلهجة غامضة أثارت مخاوفها:

- يعني أنني لا أسير بحسب خطتي، ولكنني أنفذ خطة أخرى وضعها شخص ما قد تكون آمال طرفًا منها أو بمعنى أدق تشارك فيها..

شهقت نادين في جزع.. فما قاله مراد يعنى الكثير.. الكثير جدًا..

وبعد لحظات من الصمت هتف هو متابعًا:- أيضًا.. هناك سؤال هام جدًا يدور في أعماقي منذ أن قرأت رسالة توفيق..

هتفت تسأله:- وما هو؟

وقبل أن يجيب اقترب منهما المدير وهو يسأل مراد:- قل لي يا مراد أليس متوقعًا أن رجلا مثل رمزي بحرصه الشديد قد يعتقد أن في الأمر خدعة ما أو فخا له مثلا.. فلا يأتي؟

تنهد مراد وهو يرد:- في كل الأحوال غروره بقوته الناتجة عن طاقة كي الخارقة سيجعله يأتي..

وهنا لمع البرق ثم تبعه دوي الرعد وهطلت الأمطار بغزارة فقالت نادين:ـ يبدو ان الساعات القليلة القادمة ستكون عاصفة في كل شئ..

وفي صمت هز مراد راسه متفقا معها و..... جاء رجلا هاتفا بالجميع:ـ لقد وصل..

وفي لمح البصر اختبأ الجميع وخرجت آمال من حجرتها وسارت في ممر طويل، وعندما وصلت لنهايته متجهة إلى الباب همس لها مراد وهو يتخذ مكانا خفيًا:ـ كما اتفقنا يا سيدتي..

أومأت برأسها في صمت ومع لمعان البرق ودوي الرعد ارتفع جرس الباب ليعلن عن قدوم رمزي.. ومعه الطاقة.. القاتلة..

◘◘◘◘

(٩) مواجهة:

ـ أين الأوراق؟..

نطق رمزي عبارته وهو يقف أمام امال التي جلست وهي تقول في هدوء:ـ فلتجلس أولا يا رمزي..

قال في خشونة ـ لا وقت للجلوس.. أعطني الأوراق..

قالت بلهجة لاذعة:ـ بالطبع لا وقت عندك.. فأنت مشغول دائما إما في عمليات التهريب أو القتل..

ـ لا داعِ للخوض في كلمات ليس لها فائدة.. ولأخر مرة أسالك.. أين الأوراق..

قالت في استفزاز:ـ ولماذا لأخر مرة.. هل ستقتلني كما قتلت زوجي؟..

هتف في شراسة:ـ نعم سأقتلك كما قتلت زوجك الأحمق.. فلا أحد يقف في طريقي.. فإما تعطني الأوراق حالاً أو أخذها على جثتك..

ـ هل أبدو لك بمثل هذا الغباء حتي تكون الأوراق بحوزتي الآن.. إنني اعلم أنك بمجرد حصولك عليها ستقتلني قبل أن ترحل من هنا.. الأوراق بحوزة شخص يقف في مكان ما يراقب مدخل الفيلا .. إذا لم يرني بعد ساعة بالضبط وأنا اعبر بوابتها عائدة من هنا فسيرسل الأوراق إلى الشرطة.. أما إذا رآني فسيرسلها بالبريد علي عنوان المعرض..

اقترب منها وهو يحدق في عينيها ويغوص فيهما وهو يقول ببطء:- أريد اسمه وهاتفه وأين مكانه بالضبط؟

شعرت للحظات بأن كيانها كله أصبح أسيرًا لعينيه، وبدأ ضباب كثيف يغمر عقلها إلا أنها تماسكت بسرعة وهي تقول:- لن يُجدي هذا معي يا رمزي.. فلقد علمني ودربني توفيق رحمه الله علي كيفية مقاومة التنويم المغناطيسي عن طريق توجيه العقل للتفكير بسرعة فى أى عملية حسابية..

اشتعل الغضب في أعماق رمزي وهوى على امال بصفعة قوية وهو يهتف بصوت هادر:- أيتها اللعينة..

صرخت آمال من قسوة الصفعة التي زلزلت كيانها، في نفس الوقت الذي قفز فيه مراد من مكمنه وهو يصوب مسدسه تجاه رمزي صائحًا في صرامة:- كفي.. انتهي كل شئ يا رمزي..

أخذ رمزي يحدق في مراد ثم أطلق ضحكة شيطانية وهو يقول:

- أنت.. يا لها من مفاجأة سارة.. لقد كنت أفكر في.....

بتر عبارته عندما ظهرت نادين وكذلك المدير ومعه خمس من رجال المباحث شاهرين أسلحتهم في وجه رمزي الذي انعقد لسانه من المفاجأة، وساد الصمت للحظات بدا فيها الجميع ودون استثناء وكأنهم تماثيل من الشمع، إلى ان التفت رمزي إلى أمال قائلا في هدوء لا يتناسب مع موقفه:- أتخدعيني يا أمال؟

ثم عاد والتفت إلى مراد قائلا:- وانت أيها الضابط الهمام.. هل تصورت انك بذلك تكون انتصرت؟

هتف مراد في حزم شديد:ـ كل ما دار بينك وبين السيدة امال تم تسجيله، وعلي ضوء ذلك فأنت متهم بقتل شريكك توفيق مع سبق الإصرار والترصد.. بالإضافة إلى قتلك للعديد من الأبرياء داخل المنزل رقم ٣١.. هذا إلى جانب المستندات التي تدينك وتثبت تورطك في الكثير من عمليات التهريب..

تجمدت ملامح رمزي وقال بصوت بدا وكأنه قادم من أعماق سحيقة:ـ لن تستطيع إثبات أى شئ ضدي.. ولا أحد يقف في طريقي..

فجأة اتسعت عيناه، وشعر الجميع وكأن قوة رهيبة انتزعت الأسلحة من بين أيديهم وألقتها بعيدًا. في نفس الوقت لمح مراد بطرف عينيه تلك اللوحة الفنية الضخمة المعلقة علي الحائط خلف رجال الأمن الذاهلين وهي تهتز في قوة فأراد أن يحذرهم إلا أنها تركت مكانها فجأة وطارت لترتطم بثقلها وتضرب ظهورهم بعنف شديد فيسقطون علي الأرض والآلام المبرحة تنتشر في أجسادهم.. وأطلق رمزي ضحكة شيطانية وهو يقول:

ـ لا يوجد ما يضاهي سرعة طاقتي..

وهنا هتف مراد وهو يضغط زرًا ما في هاتفه ويغلق عينيه:ـ ولكن الضوء أسرع..

ولمع البرق..

لم يكن البرق الطبيعي.. ولكنه ضوء قوي مصدره عشر أجهزة فلاشات قوية لمعت كلها في وقت واحد أمام وجه رمزي، والذي كانت عيناه متسعتين بشدة.. واصطدم هذا الضوء المبهر بعينيه، فتأوه رمزي من شدة الألم، في الوقت الذي أزاح فيه الجميع

أيديهم بعيدا عن أعينهم كان رمزي يضع يديه علي عينيه وهو يصرخ بمزيج عجيب من الألم والحنق والغيظ والغضب والدهشة.. في حين قال مراد في حزم شديد وهو يخرج من سترته مسدسا خاص يحوى ابرة مخدرة:ـ هذه هي الثغرة في قوة طاقتك.. فأنت تستخدم العين كوسيلة لتركيز هذه القوة وإطلاقها في الاتجاه الذي تريده.. فما بالك عندما تصاب عيناك بعمي مؤقت؟

صاح رمزي وهو يحاول النظر بعينيه، ولكنه لم يكن هناك سوي ضباب كثيف:ـ لا أحد يفعل بي ذلك.. لا أحد ينتصر عليّ..

وفجأة.. انقلبت الأحداث وتطورت بسرعة رهيبة..

فأمام أعينهم.. انتفض رمزي بشدة.. أمسك رأسه في قوة.. ظهر علي وجهه الآلام رهيبة.. بدا كأنه يفقد توازنه.. صرخ وهو يترنح يمينا ويسارا مقتربا من النافذة الكبيرة:ـ مستحيل... مستحيل....

وتعال صراخه وهو يهتف:ـ كفى.. كفى.

وهنا اطلق مراد من المسدس الخاص طلقة التخدير لتخرج من الفوهة ابرة رفيعة اتجهت إلى عنق رمزي، إلا أنها طاشت ولم تصب هدفها بسبب ترنحه في قوة وعنف وبشكل عجيب وهو يقترب أكثر من النافذة.. أدرك مراد أن رمزي علي وشك السقوط وهو بهذه الحالة الرهيبة من فقدان التوازن، فاندفع ناحيته في محاولة لإنقاذه.. ولكن.. ولسبب ما.. تعثرت قدماه وسقط علي الأرض وعيناه تتابعان رمزي الذي اصطدم بالفعل بزجاج النافذة وهو مازال يصرخ:ـ كفى.. كفى.. يا......

وارتطم في عنف بزجاج النافذة وحطمه في دوي هائل وساعدت حافتها السفلية المنخفضة علي أن يميل جسده خارجها و.... ويهوي......

يهوي من ارتفاع عشرة طوابق...

وأطلق رمزي صرخته الأخيرة التي أخذت تتباعد وتتباعد، ثم انقطعت مع ارتطامه بالأرض... كان صوت الارتطام خافتا للغاية إلا أنه دوي في أذني مراد كمائة رصاصة انطلقت في آن واحد..

وأصاب الصمت والسكون جميع الموجودين..

وعاد البرق يلمع.. البرق الطبيعي.. وأعقبه دوي الرعد.. واشتد سقوط المطر.. ونهض مراد وفي أعمق أعماقه يتردد سؤال واحد..

هل هذا يعني أن القضية انتهت؟؟

هل؟..

◙◙◙◙

دوت أبواق سيارات الشرطة والإسعاف والتمعت أضواؤها المتراقصة أمام تلك البناية التي تجمّع أمامها العشرات من المواطنين الذين التفوا كدائرة حول جسد رمزي المسجى على الأرض وسط بركة واسعة من الدماء، يريدون الوصول إليه لرؤيته في حين كان هناك العديد من رجال الشرطة يحاولون منعهم من الاقتراب بصرامة شديدة.. وبالقرب منهم صاحت نادين قائلة لمراد:ـ اعتقد انه قد حان وقت الراحة..

قال لها وهما يتجها إلى سيارته:ـ سأذهب بك إلى منزلك ثم أعود إلى المكتب..

قالت بدهشة كبيرة:- المكتب!.. لماذا؟

لم يجيبها وهو يقترب من سيارته، بينما استطردت هى:- أنت لم تنم منذ البارحة.. وبالتأكيد جسدك يحتاج إلى الراحة والاسترخاء..

توقف والتفت إليها يرمقها في صمت.. كان يعلم أنها علي حق تماما فيما تقوله، فهو بالفعل يشعر بالإرهاق الشديد.. ولكن ماذا يفعل في عقله؟.. عقله الذي يرفض هذه النهاية ويحاول أن يعيد كل ما رآه وعاشه من أحداث ومواقف في محاولة لإيجاد شئ ما.. هو نفسه يعجز عن تحديد ماهيته.. وقبل أن يقول لها شيئًا، تناهي إلى مسامعهما صوت أنثوي مألوف يقول:- ها نحن نتقابل ثانية وفي أقل من أربع وعشرين ساعة..

قطب مراد حاجبيه وهو يلتفت ونادين إلى مصدر الصوت ليجدا دينا حمدي الصحفية تقترب منهما وجمالها الأخاذ يخطف أبصار كل من يصادف رؤيتها.. فهتف بها مراد وقبل حتى ان تصل اليهما:- يؤسفني بأنني ليس لدي وقت للتحدث معك..

قطبت حاجبيها الجميلتين وهي تقترب أكثر لتقف أمامهما قائلة:

- وجودك هنا يعني الكثير..

تحرك مبتعدا بخطوات سريعة وتبعته نادين صامتة في حين هتفت دينا وهي تحاول السير بجواره:- يقولون إنكم كنتم ستقبضون عليه لولا أنه فقد توازنه وهو يحاول الهرب فسقط من...

قاطعها قائلاً:- هذا ما حدث بالفعل يا دينا..

تساءلت:- وهل هذا كل شي؟

كان قد وصل فى تلك اللحظة إلى سيارته ففتح بابها وجلس بسرعة وراء عجلة القيادة وهو يقول باقتضاب:ـ نعم..

ثم أغلق الباب في نفس اللحظة التي جلست نادين بجواره صامتة بينما قالت دينا في حنق بالغ:ـ للمرة الثانية تحاول الاستهانة بعقلي يا مراد.. فوجود فريق من قسم قضايا فوق العادة يعني أن هذا الشخص غير عادي..

فتح هو زجاج النافذة التي تجاوره قائلا بلهجة لاذعة وهو يشير برأسه:ـ حسنا.. ها هو هناك.. اسأليه بنفسك..

زفرت في ضيق ثم عقدت ساعديها أمام صدرها هاتفة بغضب:

ـ في هذه الحالة سأتقدم بشكوى إلى المركز الإعلامي بالمديرية وسأذكر فيها أنك لا تُبدي أي تعاون مع الصحفيين..

أدار مراد محرك سيارته وهو يصيح بها:ـ أنصحك بإرسال صورة منها إلى وزير الداخلية شخصيا..

وقبل أن تقول شيئًا انطلق هو بسيارته بسرعة كبيرة تاركا إياها والغيظ يملأ كيانها، في الوقت الذي بلغ فيه الفضول في أعماق نادين مبلغه فاندفعت تقول لمراد:ـ يبدو أنكما تعرفان بعضكما جيدًا.. فهي تناديك باسمك دون ألقاب..

لم يعلق مراد وبدا وجهه جامدا خالٍ من أي انفعال بينما عيناه ثابتتان على الطريق، فاستجمعت شجاعتها وسألته:ـ هل هناك صلة قرابة بينكما؟

تنهد بعمق وهو يجيب:ـ لا...

أومأت برأسها صامتة وقد تصورت بأنه سيكتفى بهذا الرد الا أنها وجدته يستطرد قائلاً:ـ لقد كانت خطيبتي السابقة..

اتسعت عيناها في ذهول وانطلق ألف سؤال في أعماقها.. كيف؟ وهل يمكن لشاب أن يُضحي وينهي الارتباط بهذا الجمال الساحر الذي يتمناه أي شاب في العالم؟..ثم قطبت حاجبيها وهي تهتف فى أعماقها.. بالطبع ممكن.. فالجمال ليس كل شيء، ولكن.. فلنعكس السؤال.. كيف يتسنى لها أن ترتبط بمراد ذو الشخصية الرائعة ومع ذلك تنفصل عنه بدورها.... من الواضح جدا أنها مازالت تحبه و.. ولكن هو.. هل؟.... وهنا وجدت نفسها تهتف متسائلة في لهفة:ـ وماذا حدث؟

أجابها باقتضاب:ـ لم نتفق..

قالها بلهجة خاصة جدا ذات مغزى أدركته على الفور، وهو أنه لا يريد التحدث في هذا الامر فأطبقت شفتيها ولاذت بالصمت.. في حين كان عقله يتساءل فى الحاح عجيب.. هل انتهى كل شئ؟..

◙◙◙◙

جلس مراد داخل مكتبه وعلي وجهه علامات التفكير العميق وهو يضغط علي أزرار الكمبيوتر الخاص به مستعرضا علي شاشته صورا لتوفيق ورمزي قام بالتقاطها رجال البحث الجنائي من مواقع الأحداث حتى توقف امام صورة جثة توفيق المحطمة الصدر.. كان يشعر في قرارة نفسه أن هناك شيء ما غامض في القضية كلها.. أخرج من سترته تلك الصورة التي حصل عليها من مكتب رمزي ويقف فيها توفيق بجواره.. ثم عاد والتفت إلى صورة هذا الأخير علي شاشة حاسبه الآلي و..... واعتدل فجأة..

واخذ ينقل بصره بين الشاشة والصورة التي بين أصابعه وصاح في انفعال جارف:

ـ يا الهي.. تلك هي ما ابحث عنها..

ثم التقط هاتفه في سرعة وضغط أزراره وانتظر لحظات ثم هتف في حماس عجيب:ـ نادين.. أين جثة توفيق؟

أجابته فى دهشة كبيرة:ـ لقد تم نقلها إلى المشرحة حيث سيستكمل فريق الطب الشرعي عملهم بتشريح الجثة في الغد و.....

قاطعها صائحًا:ـ معذرة.. ولكن أريدك أن تذهبي هناك فورا..

عادت تقول والذهول يتقطر من كل حرف من كلماتها:ـ فورا.. لماذا؟

هتف في حماس وانفعال:ـ لقد اكتشفت أمرًا رهيبًا سيجعل القضية تنقلب رأسًا على عقب..

◙◙◙◙

تحرك مراد بسيارته وهو يقول عبر هاتفه:ـ حسنا وبعد أن قمنا بمراجعة الخطة معا.. كل ما أطلبه منك أن تكوني متيقظة وحذرة، فإنني اعتمد عليك اعتمادا كليا في تنفيذ خطتي..

أجابته نادين:ـ لا تقلق يا سيادة المقدم.. ولكن أليس من المحتمل أن تكون أمال قد تركت الفيلا؟

هز رأسه وقال وهو يتنهد:ـ أتمنى من الله تعالى أن أصل إليها قبل أن تترك الفيلا.. فهذه هي فرصتنا الأخيرة و....

كان في تلك اللحظة قد اقترب من الفيلا التي تقطن فيها أمال عندما شاهد فجأة سيارة حمراء فارهة تخرج منها وكانت أمال تقودها بسرعة كبيرة فصاح عبر هاتفه:- لقد بدأت الخطة.. استعدي..

وانهي المكالمة وهو ينطلق بحذر خلف سيارة أمال.. فغمغم قائلا:- أتمني أن تكوني ذاهبة إلى حيث ما أتوقعه..

وطوال المطاردة كان يحاول دائما أن يكون حريصا على وجود مسافة كافية بينهما حتى لا تلاحظ أن هناك من يتبعها.. وبعد فترة رآها توقف سيارتها أمام أحد المولات الشهيرة... فابتسم هو في غموض قائلا وهو يراها تختفي بداخله:- لست محترفة بالشكل الكافي يا امال..

وتحرك بسيارته مبتعدا في هدوء

◘◘◘◘

(١٠) الحقيقة الرهيبة:

داخل برج سكني أنيق.. كان احدهم يضغط الجرس الخاص باحدى الشقق.. لحظات قصيرة وانفتح الباب لتظهر علي عتبته امال وهي تصيح في غضب وصرامة قائلة للرجل الذي يبدو علي ملابسه انه حارس الامن بالبناية:ـ ألم أقل لك يا محمد لا أريد أي إزعاج؟

ـ عذرا يا سيدتي ولكن هناك شخص هام يريد مقابلتك..

ـ من؟

ارتفع صوت مألوف لأذنيها يقول في حزم:ـ إنه أنا..

شهقت امال عندما ميزت صاحب الصوت الذي ظهر فجأة أمامها فتلعثمت وهي تقول في ذهول ـ مرحبا.. مرحبا بسيادة المقدم مراد..

ابتسم مراد وهو يتأملها ساخرا ثم التفت إلى حارس الامن مستطردا:ـ شكرا لك يا محمد.. تستطيع الانصراف..

انصرف الحارس وساد الصمت للحظات طويلة وامال تنظر إليه في دهشة وقد بدا عليها الارتباك الشديد إلى أن قطع هو حبل الصمت قائلا:ـ هل لديك مانع في الدخول؟

تحركت لتفسح له المجال وهي تقول بتوتر:ـ تـ.. تفضل..

دلف مراد إلى الشقة وخطي بعض الخطوات داخلها وهو يتأمل أثاثها الفاخر الأنيق ثم قال:ـ ذوقك راقي جدا.. سواء في الفيلا او

في شقتك او حتى في هذه الشقة.. (قطب حاجبيه وهو يستطرد متسائلا).. بالمناسبة شقة من هذه؟..

حاولت ان تتماسك قليلا وهي تجيب:ـ إنها مستأجرة..

اتسعت ابتسامته وهو يقول بصورة تدل على أنه كان يعلم الإجابة:ـ عظيم..

ثم دار بعينيه في أرجائها حتي توقف ببصره تجاه نافذة كبيرة ينسدل عليها ستائر أنيقة فقال وهو يتجه إليها:ـ ترى.. هل هذه النافذة تطل علي مفاجأة أتوقعها؟(وعندما وصل إليها وأزاح ستائرها وأطل بعينيه خارجها هتف مرة أخري).. عظيم.. (ثم استطرد).. كما توقعت تماما.. استطيع رؤية شقتك التي هوى منها رمزي بمنتهي الوضوح وأنا أقف مكاني هنا..

التفت إليها ولاحظ العرق الغزير الذي بدا يتصبب علي جبهتها من أثر الارتباك والقلق، ولكنها قالت بلهجة حاولت ان تكون صارمة:ـ اعتقد.. اعتقد أن القانون لا يعاقب على امتلاكي لشقة واستئجار اخرى في نفس المنطقة و...

قاطعها قائلا بلهجة ذات مغزي:ـ وفي نفس الشارع وعلى نفس مستوي الطابق.. الطابق العاشر..

ثم اقترب منها حتي توقف أمامها عاقدا ساعديه أمام صدره قائلا:ـ نعم.. القانون لا يعاقب أحدًا علي ذلك.. ولكنه يتساءل هل من المنطقي استئجار شقة مقابل شقتك تمامًا؟.. ثم هل يستدعي الأمر للوصول إليها أن تستقلي سيارتك ثم تقفين بها أمام احد المولات وتدخلين ثم تخرجين من أبوابه الخلفية بعدها تستوقفين إحدى سيارات الأجرة لتقلك إلى هنا.. إلى حيث شقتك

المستأجرة.. يؤسفني أن أقول لكِ إن أسلوبك في المراوغة تحسبا لأي مراقبة هو أسلوب بدائي للغاية.

تأملته امال في دهشة ثم سألته:- ماذا تريد أيها الضابط؟

سألها هو بصوت قاسي:- هل سمعتِ عن شخص يدعي خليل السيد؟

اتسعت عيناها في ذهول وبدا أن سؤاله جاء غير متوقعا بالمرة بالنسبة لها فأدارت وجهها بعيدا وهي تجيب:- لا..

صاح بقوة:- كاذبة..

ثم تحرك مبتعدا عنها إلى اقرب أريكة وجلس عليها في هدوء شديد وأراح ظهره وكأنه يجلس في منزله بعدها قال في رصانة حازمة:- أتعلمين .. كان هناك سؤال يلح على عقلي منذ قرأت الرسالة التي تركها توفيق.. فمادام أنه ورمزي تعلما ودرسا طاقة كي، إذن توفيق هو الوحيد الذي يستطيع صد ومقاومة قوة رمزي لأنه يملك مثلها، ومع ذلك نجده لا يستطيع الدفاع عن نفسه ودرء الخطر عنه عندما قرر رمزي أن يقتله.. والسؤال هو لماذا؟.. والإجابة هي لأن توفيق لم يكن هو بشخصه أثناء تنفيذ رمزي لجريمته.. وإنما شخص آخر أجريت له عملية تجميلية بارعة ليصبح طبق الأصل من توفيق.. هذا الشخص بطبيعة الحال لم يستطع مواجهة قوة طاقة كي التي جعلت السيارة تتحرك وتهبط بثقلها علي صدره.. واعتقد رمزي وقتها أنه تخلص من توفيق ذلك الصديق والشريك الذي أصبح مزعجا بالنسبة له.. ولقد شعر توفيق بأن رمزي سيدبر له خطة للتخلص منه، فوضع هو خطته أولا بل واستغل خطة رمزي

لصالحه بصورة جهنمية.. واستطيع أن أقول إنه إذا كان رمزي نفذ خطته بدقة فقد كان توفيق هو الاذكى والأدق.. فهو كان المحرك الأول والأساسي في هذه القضية.. لقد كان يحرك رمزي ويحركنا معه كعرائس الماريونيت بحسب خطته الشيطانية التي وضعها.. ولكنه وقع في بعض الأخطاء الصغيرة والتي سأوضحها فيما بعد.. ولنعُد من البداية..

صمت للحظات ثم قال وهو يتخيل ما يسرده:- في الليلة الماضية التي بدأت منها الأحداث استفز توفيق شريكه رمزي إلى الحد الذي أصبح فيه واثقًا من أنه لن يتردد في قتله بمجرد خروجه من مكتبه.. وما إن خرج من المعرض حتي اختبأ في مكان ما ودفع بشبيهه الذي كان يرتدي نفس الملابس وهو المدعو خليل السيد ليخرج إلى الشارع.. ذلك الشبيه الذي صنعه توفيق وأنفق الكثير ليجعله صورة طبق الأصل منه في كل شئ إلى الدرجة التي خدع بها رجال الطب الشرعي.. فتصور رمزي ان الذي يسير أمامه في الطريق هو صديقه توفيق فاستخدم قوة طاقة كي في تنفيذ الجريمة رغم علمه بأن صاحبه يملكها أيضا، إلا أن غروره جعله يعتقد أن قوته هي الأقوى وأنها ستهزم قوة توفيق الذي كان يعلم أن رمزي سيفكر بهذا الشكل.. (صمت لحظات ثم تنهد وهو يتابع).. وحدث ما حدث.. ثم ظهر ضابط الدورية المسكين وشاهده رمزي واستنتج علي الفور ان هذا الضابط سيذهب إليه مباشرة باعتبار ان المعرض هو الوحيد بين المحال التجارية الذي لا يزال مفتوحا.. ولأن رمزي كان يحتاج لبعض الوقت لتجهيز مقاطع المراقبة المزيفة التي بالتاكيد كان يعلم بأننا سنطلبها منه.. فلم يجد حلاً سوى التخلص من الضابط

أيضا.. وقتها كان توفيق قد ابتعد بهدوء وقد اطمئن لأن الجزء الأول من خطته قد سار على ما يرام.. ثم جئنا نحن وحاولنا كشف غموض الجريمة.. واعتقد أن توفيق كان يتابع تحركاتنا وقد أدرك أن رمزي من الممكن أن يفلت من كل ذلك نتيجة للأدلة الضعيفة التي لا تكفي لإدانته.. وبالطبع كان هدفه أن يوقعه في شر أعماله المشبوهة من قتل ونصب وتهريب، فبدأ في تنفيذ الجزء الثاني من خطته والتي اشتركت فيها أنتِ..

عاد يصمت قليلا ليلتقط أنفاسه في حين كانت أمال تنظر إليه بوجه خال من أي تعبير فأردف متابعا:- بديهيا.. كان توفيق يتوقع أننا سنذهب إليكِ للتحقيق معك وسماع أقوالك، وبدأت أنتِ تنفذين دور الزوجة التي فقدت زوجها فجأة ورفضتِ ان تقابلي أحدًا في البداية.. ولكن لأن توفيق كان يريد ان يكشف امر رمزي بسرعة بدأت الأخطاء في الظهور ليبدأ الشك يتسلل وينمو بداخلي في ان القضية لها مسار آخر تماما غير ذلك الظاهر أمامي.. فأنتِ لم تؤدِ دورك بإتقان أو باحتراف.. فالمقابلة تمت بسهولة.. الزوجة التي أصبحت أرملة منذ ساعات قليلة بدت متماسكة.. الحزن والدموع والرغبة في الانتقام كل ذلك بدا لي مزيفا ومصطنعا.. حتي طريقة تقديمك للرسالة كان غير واقعي بالمرة.. وفحوى الرسالة ذاتها والتي أراد بها توفيق أن يكشف طاقة كي وعمليات رمزي القذرة وجرائمه والقول إنه يشعر بأن صديقه سيتخلص منه في محاولة لإسراع عملية إدانة رمزي والقبض عليه كان بها خطأ قاتل عندما ذكر أنهما تعلما وتدربا علي استعمال طاقة كي.. فلو ذكر أن رمزي فقط هو الذي

تعلمها وأنه علم ذلك بالمصادفة مثلا لكان من الصعب وقتها أن أتوصل لحل غموض هذه القضية..

ثم اعتدل في جلسته وهو يستطرد:ـ وزادت شكوكي عندما لاحظت أن لديك إصرار غريب في تنفيذ خطة مواجهة رمزي بالرسالة وبأوراق إدانته والحصول علي اعترافه في شقتك وليس في الفيلا.. والسؤال هنا لماذا؟.. لأن الفيلا تحيط بها الأشجار من كل جانب، كما ان موقعها من الصعب علي توفيق ان يراقب ما يحدث فيها، فكان الاتفاق المسبق بينكما بأن تتم المواجهة في شقتك حتي يستطيع توفيق ان يشاهد لحظة الايقاع برمزي من هنا.. من تلك الشقة..

نهض من مكانه واتجه إلى النافذة الكبيرة ووقف امامها مستطردا:ـ لقد كان توفيق يراقب كل ما حدث في شقتك وهو يقف هنا.. يرانا بوضوح.. كان يريد الاطمئنان على سير خطته وسقوط رمزي في قبضة الشرطة.. وامتدادا لبراعته في استغلال الخطط والمواقف لصالحه، استغل نجاح خطتي في مقاومة قوة طاقة كي عند رمزي.. وقرر ان ينهي حياته بصورة طبيعية لا تدعو للشك حيث استغل فترة ارتباك رمزي والضعف المؤقت الذي أصاب طاقة كي لديه والذي أدى بدوره إلى حالة من الدوار، وقام بتركيز كل طاقته تجاه رمزي الذي شعر بها تسري في كيانه كله فانتفض وهتف وقتها قائلا مستحيل.. لقد قال هذه الكلمة لأن لا أحد يملك هذه الطاقة سواه وتوفيق.. ووجودها في ذلك التوقيت يعني أن توفيق لم يمت.. وهذا مستحيل لأنه قام

بالتخلص منه.. وكاد رمزي أن يذكر اسم توفيق عندما صرخ قائلا.. كفي.. كفي يا.... ولكنه هوى قبل أن ينطقها..

ثم أشار مراد بيده وهو يتابع تحليله:- وهنا.. من مكاني هذا رأني توفيق وأنا أعدو تجاه رمزي فأرسل لي دفقة صغيرة من طاقته كانت كافية لكي أتعثر ولا أستطيع إنقاذه..

ثم عقد ساعديه وراء ظهره متابعا وهو يسير ببطء عائدا إلى حيث تجلس امال التي كانت تتابع حديثه وهي ساكنة جامدة الملامح:- لقد أراد توفيق أن نفسر سقوط رمزي بأنه رد فعل طبيعي نتيجة إصابة عينيه بالضوء القوي وبالتالي فقد تركيزه بصورة مفاجئة ومن ثم توازنه فاصطدم بالنافذة وهوى، وتنتهي القضية ويتم إغلاق ملفها.. رمزي قتل توفيق.. الأول توفي أثناء القبض عليه. والثاني كان ضحية من ضمن ضحايا كثيرين تخلص منهم الأول بسبب جشعه وطمعه..

وهنا توقف مراد أمام امال وهو يستطرد:- وبالفعل كاد الأمر ينتهي عند هذا الحد لولا أنني اكتشفت أمر هذا الشبيه وعدت لترتيب أفكاري بشكل جديد ليتضح كل شئ ويبقي سؤال واحد... أين توفيق؟.. (وقبل أن تقول أمال أي شئ مال هو نحوها هاتفا في صرامة حازمة).. الإجابة هي.. أن توفيق هنا.. في هذه الشقة.. بل ويسمعني منذ أن جئت وحتى الآن..

وهنا ارتفع تصفيق فردي حاد، فاعتدل مراد والتفت ليجده يقف بالقرب منه..

توفيق..بنفسه وشخصه.. حي يرزق..

◙◙◙◙

(١١) توفيق:

اتسعت ابتسامة توفيق وهو يقول بعد ان توقف عن التصفيق:

ـ رائع.. رائع.. بل اكثر من رائع.. استنتاج صحيح ١٠٠٪ وتفسير منطقي مدهش ينم عن عقلية لا يستهان بها..

رد مراد ساخرا وهو يتأمله:ـ اعتقد ان هذه الابتسامة لا تليق أبدا برجل ميت يا أستاذ توفيق..

انطلقت من فم توفيق ضحكة صغيرة قال بعدها:ـ لا اعتقد ان كلماتك هذه تجدي الآن بعد أن أصبحنا نلعب بأوراق مكشوفة..

اقترب منه مراد وهو يقول بلهجة قوية حادة:ـ حسنا.. طالما أن الأوراق أصبحت مكشوفة فإنني القي القبض عليك بتهمة.....

قاطعه توفيق قائلا له وهو يلوح بيده:ـ لحظة أيها الضابط.. فأنت لم توضح نقطة هامة جدا وهي الدافع.. ما الذي جعلني افعل واخطط لكل ذلك؟

عقد مراد ساعديه أمام صدره وهو يجيب في حزم صارم:ـ أنت أردت ضرب عصفورين بحجر واحد.. قتلت رمزي الذي كان قد قام بقتلك.. وأفلتت من جرائمك والعمليات المشبوهة التي شاركت فيها باعترافك.. لأنك ستكون في نظر العدالة ميت..

هز توفيق رأسه وهو يقول:ـ للأسف.. ليس هذا هو دافعي الأساسي.. أنا وإن كنت شاركت رمزي في بعض العمليات كما ذكرت في رسالتي بهدف جمع المال بصورة سريعة، إلا أنني سئمت الاستمرار في هذا الطريق.. وهداني الله تعالي وقررت أن

ابتعد عن ذلك ونصحته بأن يكف عن هذه العمليات المشبوهة القذرة وكفى ما جمعه من أموال.. ولكنه لم ينصت إلى صوت العقل والضمير، واستمر في طريقه وعملياته وأدارها وحده، وتطور الأمر إلى حد قتله لكل من يعترض طريقه أو يكشف سره وسر طاقة كي.. ليس هذا فقط بل تحول القتل عنده إلى متعة خاصة ولذة شيطانية.. ولكي أوضح لك دافعي الرئيسي سأطرح عليك سؤالا.. هل تعلم من هذه؟..

أجابه مراد:ـ الأخت الكبرى لزوجتك الأولى التي قُتلت في منزلها وراحت ضحية لجريمة سرقة..

هز توفيق رأسه وهو يقول:ـ هذا ما قرأته أنت في ملف التحقيق.. ولكن الحقيقة ليست كذلك أبدا.. فالذي قتلها هو رمزي..

هتف مراد متعجبًا:ـ قتلها رمزي..

ظهرت الدموع في عيني توفيق وهو يقول بحزن واضح:ـ نعم أيها الضابط. قتلها بدم بارد ودون مراعاة للصداقة التي امتدت لسنوات طويلة.. لقد كانت زوجتي الأولى رحمها الله تعمل بجمارك ميناء الإسكندرية وأراد رمزي أن يمرر احدى بضائعه المشبوهة، فاكتشفت هي ذلك بالمصادفة، وكذلك اكتشفت كيف يؤثر على بعض العاملين باستخدام طاقة كي والتنويم المغناطيسي واعترضت وهددته بأنها ستكتب تقريرا رسميا بما شاهدته وتقدمه إلى الشرطة ما لم يتوقف عن ما يفعله، وذكرت له أنها تراعي الصداقة التي كانت بيني وبينه.. ومع ذلك لم يهتم رمزي واستمر في أفعاله وأعماله، وارتكبت هي الخطأ القاتل

الذي دفعت حياتها ثمنا له عندما أبلغته في يوم من الأيام بأنها ستتقدم ببلاغ إلى الشرطة ضده مدعوما بالمستندات.. وقتها كنت في القاهرة استعد لافتتاح مكتب خاص بي متخصص في أعمال الاستيراد والتصدير، واتصلت زوجتي وشرحت لي كل شئ وما تنوي أن تفعله.. فتركت أعمالي كلها وعدت إلى منزلي لأجده في حالة من الفوضى وكل قطعة فيه انقلبت رأسا علي عقب ووسط كل ذلك ترقد زوجتي غارقة في دمائها وقد فارقت الحياة..

صمت قليلا وحاول إيقاف دمعة حارة أصرت علي الخروج من عينيه، والتفت مراد إلى أمال التي كانت دموعها تتساقط في صمت ثم عاد والتفت إلى توفيق الذي تماسك وهو يتابع:- بالطبع لم أجد الأوراق في خزانتها التي كانت خالية ومفتوحة علي مصراعيها.. ورغم أن النيابة وقتها حددت أوصاف المجرم إلا أنني كنت واثقا أن رمزي هو المتسبب في ذلك بطريقة غير مباشرة وأقسمت أن دم زوجتي لن يذهب هباء، فبدأت اخطط للنيل منه وعدت إليه وهو لا يعلم أن زوجتي أخبرتني بكل شيء، واصطنعت فكرة أنني أريد العودة للعمل معه مرة أخرى والمشاركة في عملياته، وبالطبع وافق وبعد فترة قصيرة لاحظت اهتمامه الشديد بحادث القبض علي مجرم محترف يدعي....

قاطعه مراد قائلا:- خليل السيد..

نظر إليه توفيق في صمت فتابع هو يقول:- لقد أصبح الدافع واضحا وهو الانتقام.. الانتقام من القاتل وهو خليل وممن خطط لذلك وهو رمزي..

فتنهد توفيق وهو يقول:ـ هذا صحيح.. (ثم استطرد).. لقد وجدت رمزي في غاية الغيظ والحنق عندما ذكرت الجرائد أن المجرم اعترف بكل جرائمه ومنها قتله لزوجتي وذكروا أيضا انه سيعترف بتفاصيل كل جريمة أثناء محاكمته.. وكان من البديهي أن استنتج علي الفور أن رمزي لن يسمح بحدوث ذلك مهما كان الثمن.. ولم أضيع وقتي واستطعت أن أقوم بتهريب خليل قبل أن يصل إليه رمزي وعلمت منه انه هو الذي استأجره لقتل زوجتي.. واكتشفت فجأة مصادفة عجيبة أن المدعو خليل هذا لو قام بحلق لحيته وشاربه سيكون قريب الشبه مني شخصيا، بل وبعملية تجميل بسيطة مع بصمات صناعية لاصقة يتم زراعتها علي أطراف أصابعه مباشرة بعملية جراحية أخري وتغيير فصيلة دمه لتتطابق مع فصيلة دمى بخدعة طبية مبتكرة.. يمكن أن يتحول إلى نسخة طبق الأصل مني بحيث انه من الصعب جدا أن يفرق أحد بيني وبينه.. وهنا فقط قفزت الفكرة إلى عقلي ووضعت خطتي بناءا عليها.. والباقي أنت تعلمه بالطبع..

قال مراد في حدة:ـ لكنك كنت تعلم أننا سنكتشف خدعة الشبيه هذه..

صاح توفيق قائلا:ـ بكل تأكيد ولكن ليس بتلك السرعة.. فمن المفترض انه ووقت كشفكم لهذا الأمر أكون أنا وزوجتي خارج البلاد بعد أن قمت بالفعل بتصفية جميع أعمالي هنا وتحويل كل ما أملكه إلى أموال سائلة تم تحويلها بالفعل إلى حساب خاص بزوجتي بأحدى الدول لأبدأ حياة جديدة..

- أنت بالفعل ستبدأ حياة جديدة ولكن وراء القضبان بتهمة القتل..

- القتل.. القتل كان آخر شئ أفكر فيه.. ولم يكن أبدا من أولويات تفكيري مثل رمزي وخليل..

- ولكنك استخدمته وأصبحت قاتلا..

- فلتعلم ايها الضابط أنه لم يكن في نيتي أبدا أن اقتل رمزي، بل كان هدفي أن يقع في يد العدالة ولكنني تراجعت لأنه كان وبكل تأكيد سيهرب ويستمر في أعماله القذرة.. أما بالنسبة لـ خليل السيد هذا فلقد نال جزاءه الطبيعي، فبالتأكيد كانت المحكمة ستحكم عليه في النهاية بالإعدام.. لذا.. لدي إحساس رائع بالسعادة والارتياح..

- سعادة وارتياح!!

- بالطبع.. لقد خلصت الحياة من اثنين كانا يعيثان في الأرض فسادا..

- وأنت؟..

- أنا.. كما قلت لك سأبدأ حياة جديدة ونظيفة مع زوجتي وسأنسي كل شئ حتى طاقة كي.. لن يكون لها وجود في حياتي بعد الآن..

اخرج مراد مسدسه من سترته وهو يهتف:- وهل تتصور بأنني سأسمح لك بالهرب؟؟

أجابه توفيق بلهجة تحدي وهو يشير برأسه إلى مسدس مراد:

- وهل تتصور أن هذا المسدس أو أي شخص يمكن أن يمنعني؟؟

- ها أنت تتكلم وتتعامل الآن بنفس أسلوب رمزي..

- لو كنت أتعامل معك بنفس أسلوبه لكنت تركت الذئب يفتك بك أنت وزميلتك ولكنتما الآن في عداد الأموات..

ضاقت عينا مراد في تلك اللحظة وهو يغمغم:- إذن فأنت كنت هناك..

صاح توفيق:- وكذلك رمزي.. فهو الذي قام ببناء بيت الظلام هذا ليستمتع بقتل ضحاياه علي طريقة أفلام الرعب الأمريكية.. وللأسف لم أكن اعلم بوجود هذا المكان الملعون إلا مؤخرا جدا.. وأحب هنا أن أسجل إعجابي لذكائك في مواجهة المخاطر.. أما أنا فكنت حريصا جدا ألا يصيبك أي مكروه حتى تستمر في مهمتك وتوقع برمزي.. لذلك فأنت مدين لي بحياتك.. ومع ذلك تريد القبض علّي (ثم أردف متسائلاً بلهجة ذات مغزى خاص).. فهل هذا جزاء المعروف؟؟..

قال مراد له بلهجة شديدة الحزم والصلابة:- لم اكن في حاجة إليك أو لطاقتك.. فقد كان لدي وبفضل الله تعالي أكثر من طريقة للنجاة إذا شاء سبحانه..

رمقه توفيق بنظرة خاصة قبل أن يقول:- أنني أكن لك كل احترام أيها الضابط ولا أريد إيذائك.. فأنت رأيت بعينيك وشاهدت قوة طاقة كي مرتين بواسطة رمزي.. مرة في بيت الظلام عندما أطاح بمسدسك من يدك أنت وزميلتك والمرة الأخرى هناك في الشقة الثانية.. وكل ما أطلبه الأن منك أن تتركنا نذهب في سلام وإلا...

بتر عبارته فهتف مراد في يسأله بتحدي:- وإلا ماذا؟..

هز توفيق كتفيه ببساطة وهو يقول:- سنذهب وأنت نائم..

ولثانية واحدة استنتج مراد علي الفور ما سيفعله توفيق، ولكن في الثانية التالية اتسعت عينا توفيق ووجد مراد نفسه وكأن قوة هائلة رفعته ودفعته إلى اعلي لترتطم رأسه بسقف الغرفة ثم يسقط أرضا وقد بدء ضباب كثيف يكتنف عقله ووسط الآلام الرهيبة وقبل أن يفقد وعيه تماما وجد توفيق يقترب منه وهو يقول بصوت بدا له قادما من بعيد جدا:- للأسف.. أنت لم تترك لي الخيار أيها الضابط..

وغاب مراد عن الوعي..ولم يعد يشعر بأي شئ.. مطلقا..

وهنا التفت توفيق إلى أمال يهتف بها:- هيا بنا؟

نهضت من مكانها قائلة:- ولكن هذا الضابط لديه زميلة بالتأكيد سنجدها الان ومعها فريق من رجال الامن يحاصرون المبنى..

فابتسم توفيق في غموض قائلاً:- لا تقلقي يا عزيزتي.. سنستخدم طريقة رمزي في الهروب دائما وهي.. (ثم أشار بيده إلى أعلى مستطردا).. عبر السطح..

توجه إلى مراد.. أخذ هاتفه الخلوي.. ثم أخرج مدية صغيرة وذهب بها إلى ركن من الأركان وقطع بها سلكًا صغيرا خاص بالاتصالات الأرضية و.. وخرجا من شقتهما.. أغلق بابها بإحكام.. وانطلقا إلى السطح.. ووسط الظلام إلا من بعض الأضواء المترامية من كل جهة، توقفا في منتصفه.. جذب أمال إليه واحتضنها ودار ببصره حوله حتى استقر على نقطة ما فوق سطح بناية أخرى قريبة و.....

واتسعت عيناه بشدة....و... ارتفع هو وأمال... ارتفع.. واخذ يرتفع.. وعبر بها المسافة كلها إلى حيث سطح المبنى الثاني.. ثم عاود الكرة.. واخذ يتنقل بهذا الشكل حتى شعر بأنه ابتعد عن المنطقة بما فيه الكفاية.. فجذب امال من يدها واتجها إلى حيث الدور الأخير من ذلك المبنى اللذان اصبحا بداخله.. ضغط زر المصعد فانفتح.. وبعد ان أصبحا بداخله عاد وضغط زر الهبوط حتى وصلا إلى الطابق الأرضي وانفتح باب المصعد.. وخرجا منه بسرعة وقبل أن يصلا إلى الخارج هتف صوت مألوف يناديهم قائلاً في سخرية:- إلى أين أنتما ذاهبان؟

اتسعت اعينهما والتفتا بسرعة تجاه الصوت و...

انتفضا الاثنان فى رعب..

فقد كان يقف هناك آخر شخص يمكن أن يتوقعاه فى تلك اللحظة..

رمزي..

شخصيًا..

◙◙◙◙

(١٢) النهاية:

داخل احدى الغرف بمستشفى الشرطة، حيث يرقد هذه المرة مراد وقد غطت ضمادة طبية مساحة كبيرة من مؤخرة رأسه، تعالت ضحكات المرح بين المدير ونادين ودعاء التي قالت مداعبة:- من يصدق ان سيادة المقدم الذي زارني بالأمس القريب يرقد اليوم في غرفة بجانبي* ..

هتف المدير في مرح وهو يشير إلى رأسه:- بل ولديكما نفس الألم ومكان الضربة وحتى الضمادة..

ابتسم مراد في هدوء بينما قالت نادين وسط ابتسامتها الواسعة:

ـ كنت أتمني أن تري وجه توفيق وهو يرى رمزي المزيف.. كانت ردة فعله عجيبة حقًا وهو يكرر اسمه علي لسانه وكأنه أصيب بصدمة عصبية.. وهو ما سهل علينا مهمة السيطرة عليه وتخديره بالطلقة المخدرة هو وزوجته أمال..

قال مراد في جدية وهو يتحسس الضمادة الكبيرة التي تغطي مؤخرة رأسه:- لقد استخدمت نفس فكرة خطته للوقوع به.. وطلبت من نادين تجهيز قناع يحمل ملامح رمزي واختيار شخص له نفس الهيئة وتدريبه بسرعة على إلقاء جملة واحدة بنفس طريقة وأسلوب وصوت رمزي.. فكل ما كنت احتاجه هو لحظة ارتباك.. وبالتالي ومع شخص مثل توفيق يملك مثل هذه الطاقة كان لابد أن تكون اللحظة غير تقليدية وليست متوقعة بالمرة..

*(راجع العدد الاول من سلسلة قضايا فوق العادة بعنوان "بصمات الدم")

هتفت نادين مضيفة:- لقد تركناه يهرب من سطح إلى سطح بتلك الطريقة الرهيبة التى استخدمها وتابعناه ثم أوقعنا به بهذه الخطة العبقرية التى وضعها سيادة المقدم..

قال المدير وهو ينظر باعجاب إلى مراد:- حمدا لله أننا استطعنا إنهاء القضية وإغلاق ملفها إلى الأبد.. فها هو توفيق وزوجته امال يتم التحقيق معهما داخل سجن خاص وعليه حراسة مشددة..

وهنا سألت نادين مراد:- ولكن قل لي يا مراد كيف استطعت اكتشاف أن تلك الجثة ليست لتوفيق؟..

ضاقت عينا مراد وهو يجيب:- عن طريق بصمة الأذن.. فهو أسلوب فرنسي قديم يعتمد شكل الأذن، والذي يستحيل أن يتشابه مع أذن أخرى مثله مثل البصمات تمامًا*..

ضحكت نادين ضحكة خفيفة وهي تقول بإعجاب شديد:- أنت تبهرني دائما بأفكارك وغزارة معلوماتك..

وهنا قالت دعاء ببعض من الجدية:- بما إني معكم الآن وبناءا علي ما سمعته منكم أريد أن أسال كيف أمكن لتوفيق هذا أن يصنع شبيهه بهذه الدرجة؟..

قالت نادين في سرعة:- العمليات التجميلية الليزرية أصبحت الآن متطورة بشكل مذهل.. ولم تعد تترك أثرا علي الوجه مثلما كان يحدث في الماضي .. هذا لا يمنع أيضا أن الطبيب الذي قام بالعملية الجراحية التي صنعت هذا الشبه من حيث الوجه

***(حقيقة علمية)**

والصمات لهو طبيب ذو كفاءة ومهارة عالية..

هتف مراد:ـ أما أنا فأقول إنه بلا ضمير.. يبيع نفسه لمن يدفع أكثر ويجب أن يكون مكانه خلف القضبان..

هز المدير رأسه موافقًا قائلاً:ـ بكل تأكيد يا مراد... وقريبا سنعرف من هو وسنقبض عليه بإذن الله..

عادت دعاء تسأل:ـ وماذا عن فصيلة الدم.. كيف أمكنه تغيرها للتتطابق مع فصيلته؟

صاحت نادين قائلة:ـ بداية من المستحيل تغيير فصيلة الدم*.. وعندما حصلت علي عينة دم وقمت بتحليلها أصابتني الحيرة وقتها من وجود نسبة تركيز عالية من بعض انزيمات البروتين.. هذا التركيز الذي تم حقنه به وبنسبة محددة دقيقة عملت على تغير الفصيلة ظاهريا وليس حقيقيًا.. وهذا ما حدث عندما اعدت فحص الجثة وقمت بفحص العينة بدقة اكبر وبمساعدة أجهزة طبية حديثة استأجرتها واحضرتها من أحد المعامل الخاصة الحديثة استطعت التوصل إلى حقيقة ان الجثة لا تخص توفيق..

قال مراد بلهجة حازمة:ـ لقد اعتمد توفيق على أن الفحص المبدئي للجثة لن يكشف شيئا، ولكن الفحص الدقيق فيما بعد وكذلك تحلل الجثة والذي سيؤدي إلى ظهور اثار البصمات المزروعة سنكتشف وقتها الخدعة... والفارق بين الفحصين كافٍ لكسب المزيد من الوقت حتي يتسني له الهرب إلى الخارج..

فقال المدير:ـ هذا يعني اننا نحتاج إلى تحديث في اجهزة المعمل الجنائي والطب الشرعي حتى نحصل على نتائج دقيقة سريعة..

هتفت نادين:ـ هذا صحيح يا سيدي..

نهض المدير من مكانه وهو يقول:ـ حسنا سأتقدم غدا بطلب لمكتب الوزير لتوفيرها.. وأرجو أن نحصل عليها في اسرع وقت..

ضحكت نادين قائلة وهي تنهض بدورها:ـ اما أنا فسأذهب لمنزلي حتى أنال قسط حقيقى من الراحة، التى ارغب فيها بشدة..

قال مراد بجدية مصطنعة وهو يشير بيده:ـ ولكن لا تغلقي هاتفك.. فربما احتاجك فى أمر آخر هام..

صاحت في دهشة:ـ مثل ماذا؟

أجابها وهو يهز كتفيه:ـ مثل أن يكون رمزي خدعنا واستطاع أن ينجو ولم تكن تلك جثته التي رأيناها..

ضحكت نادين وهي تقول:ـ في هذه الحالة سأطلب نقلي إلى الاعمال المكتبية هربًا من تلك القضية التى لا نهاية لها..

تعالت الضحكات مرة أخرى وقالت دعاء وهي تنهض وتقف بجوار مراد:ـ قل لي يا سيادة المقدم ألم تفكر ولو للحظة واحدة أن تمتلك مثل هذه الطاقة..

صمت مراد وبدا عليه التفكير للحظات ثم قال:ـ هل تعلمين أن توفيق ورمزي نالا فى حياتهما فرصة نادرة لتعلم هذه الطاقة ولكنها للأسف جذبتهما إلى الجانب المظلم منها.. أما انا بالتأكيد احلم بامتلاكها ولكن السؤال.. هل سأتغير وقتها إلى الأفضل أم إلى الأسوأ؟..

سألت نادين مديرها:ـ ما رأيك أنت يا سيدي؟

قال المدير في حزم قوي:- أتريدون رأيي.. إنني أري أن مراد يمتلك بالفعل طاقة كبيرة.. طاقة اكتسبها من شجاعته وعقليته النادرة وغزارة معلوماته جعلته يليق بأن يكون أفضل رجال قسم قضايا فوق العادة.. لأنه بجدارة.. ضابط فوق العادة..

وابتسم الجميع وتعلقت أعينهم ينظرون بإعجاب إلى مراد الذى اغلق عينيه وعلى وجهه ابتسامة هادئة..

◘◘◘◘

◘◘◘◘

﴿ تمت بحمد الله ﴾

الفهرس

{ العدد القادم: تعاويذ الفزع }

